اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط – كليّة التربية
قسم التاريخ

خطـة النظر في المظالم في الأندلس من عصر الإمارة حتى عصر الحجابة العامرية

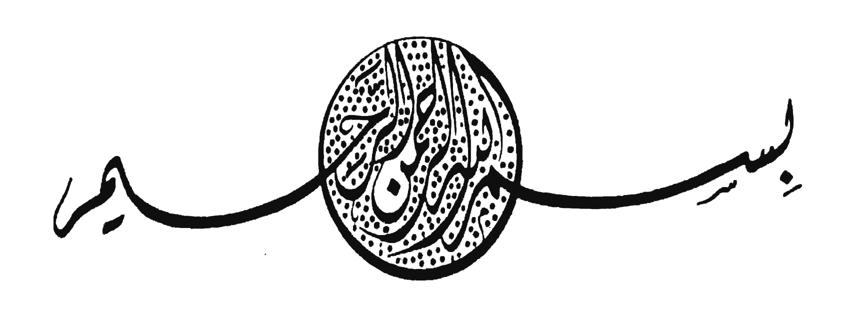
(١٣٨ ـ ٣٩٩هـ / ٧٥٥ ـ ١٠٠٨م)

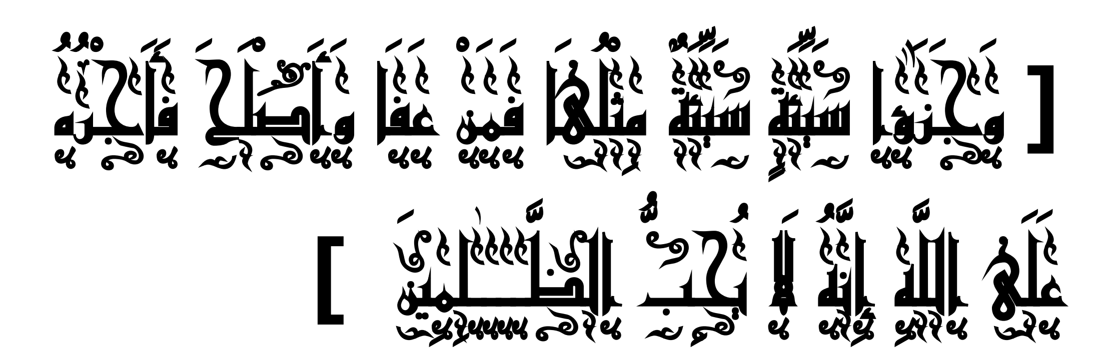
رسالة تقدّمت بها الطالبة
ورود عبد الحسين جواد

إلى مجلس كليّة التربية في جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتورة
سادسة حلاوي حمود

١٤٣٢هـ ٢٠١١م





صدق الله العظيم

((الشورى: الآية (٤٠))

الإهـــداء

إلى تلـك النســمة الرقيقـة التــي رافقـت عليًـا (عليه السلام) في جهـاده، فســلا برفقتهـا، وتعلـق بها روحاً وقلباً ونفساً، فلم يزل هكـذا حـتى رحلـت عنه على حين غفلة.

ورود

كتب القاضي الفاضلُ إلى العِمادِ الأصفهاني، قائلًا:

((إنّي رأيتُ أنّه لا يكتُبُ إنسانٌ كتاباً في يومهِ إلّا قال في غَدهِ: لَو غُيِّرَ هذا لكانَ أحسن، ولَو زِيدَ كَذا لكانَ يُستَحسَنُ، وَلو قَدِّمَ هذا لكانَ أفضلُ، ولو تُرِكَ هذا لكانَ أجملُ، وهذا مِن أعظَمِ العبرِ، وهو دليلٌ على إستيلاءِ النَقصِ على جُملةِ البشرِ)).

((العماد الأصفهاني (ت ١٢٠١هـ) لمقدمة كتاب جمهرة الأدباء)).

شكر وتقدير

قال الله تعالى [**رَبِّ أوزِعنِي أنْ أشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِي أنْعَمتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وأنْ أعمَلَ صلِحًا تَرضَىٰهُ وأدْخِلنِي بِرَحمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصلِحِينَ**]. النمل : ١٩.

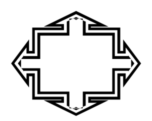
الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المُنتجبين.

إنّ من دواعي الأمانة، والإخلاص، والاعتراف بالإحسان توجيهَ الثناء والشُكر الى كلّ من أعانني على إتمام هذه الرسالة:

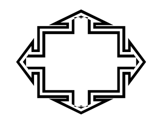
- أبي وأُمّي؛ زوجي وإخوتي ... هذا غرسُكم، طالما كانت نظراتكم ترعاه، وهذا أثرٌ من آثاره، عسى الله أن يجعله نورًا يسعى بين أيديكم، ومن خلفكم، يوم تُشرق الأرض بنور ربها، وتعنو الوجوه للحي القيوم.
- أستاذتي الفاضلة الدكتورة (سادسة حلاوي حمود) المشرفة على الرسالة، إذ تابعت معي خطواتها بدءً من وضع خطتها حتى طباعة آخر سطر فيها، وكنت قد عاهدتها ـ كما أرادت ـ أن أتقن عملي في البحث: في جمع المادة، وفي كتابة الفصول، وفي طباعة الرسالة، وقد كان لها ما يميزها، إذ لم تجعل الإشراف حكرًا عليها فقد كانت تقول لي : لا تثريب عليكِ في سؤال أهل الاختصاص عن كل ما يعترض سبيلك من الصعوبات والإشكالات، فربما تجدين عندهم حلًا لما إستشكلتيه. وهذا يمثل الإطار الصحيح لمنهج البحث العلمي، وتواضعًا منها أمام العلم، فلها مني تقدير وعرفان.
- أستاذي الفاضل الدكتور (رضا هادي عباس) الذي حظيت من رعايته وعلمه، بما تحظى به البنت من والدها، إذ كان يبُثُّ فيَّ الحماسة والإندفاع والصبر،

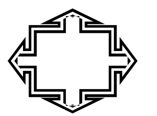
وفتح لي بيته ومكتبته، وتفضّل عليّ بقراءة فصول هذه الرسالة فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء، ومدّ في عمره.

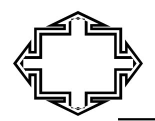
- الاستاذ الدكتور (محمد بشير العامري) فمن فضل الله تعالى أن أنعم عليّ به عالِمًا عامِلًا، أفاض عليّ بتوجيهاته السديدة، ومن بحر علمه الجمِّ، فإعترافًا بفضله أن أشكر الله له، إذ طالما تجشم عناء قراءة ما كتبتُهُ كلمةً كلمةً، فجزاه الله عنيّ وعن الدارسين خير الجزاء.
- الأستاذ الدكتور (عطا سلمان جاسم) على ما بذله من جهد في قراءة فصول هذه الرسالة، وما يداخلها من مشقة وعناء، فجزاه الله عني خير ما يجازي عباده الصالحين.
- أساتذتي الفضلاء: رئيس قسم التاريخ، وأعضاء هيئة التدريس في كلية التربية في جامعة واسط، لما بذلوه من نُصحٍ، وما زودوني به من العلوم والمعارف النافعة، سائلةً المولى أن يجزيهم عني خير الجزاء.
- الأخوة والأخوات العاملين في مكتبة كلية التربية / جامعة واسط، والمكتبة المركزية في محافظتي واسط وديالى، لما بذلوه من تعاونٍ وفر على الباحثة الكثير من العناء.



ثَبَت موضوعات الرّسالة







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

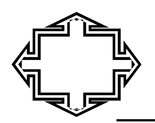
الحمد لله المتوحد بالعز والملكوت، المتفرد بالمجد والجبروت، وصلى الله على رسول الهدى، ومنار التقى، محمدٍ الذي اصطفاه علمًا لعباده، وأمينًا على وحيه، ومبلغًا لرسالته، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المُنتجَبين.

أمّا بعد، فقد عالجت الرسالة حقبة مهمة من تاريخ الأندلس ابتداءً من عصر الإمارة حتى نهاية عصر الحجابة العامرية، إذ تضمنت الدراسة : عصر الإمارة، وعصر الخلافة التي استمرت أكثر من قرنين ونصف (١٣٨ -٣٩٩هـ).

إنَّ الهدف من هذه الدراسة هو توضيح خطة النظر في المظالم في الأندلس، وهي تكشف عن الفكر النير الذي امتاز به أجدادنا العرب المسلمين، وكذلك الطريقة التي طبقوا فيها تعاليم الدين الإسلامي، تلك التعاليم التي لم تميز بين جميع بني آدم، فلا فرق بين حاكم ومحكوم، والجميع أمام القضاء سواسية .

وتبرز أهمية دراسة هذا العصر من تاريخ الأندلس من خلال الأثر الكبير الذي تركه الأمراء والخلفاء الأندلسيين في حكمهم، وطريقة اختيارهم لعمالهم من القضاة والفقهاء وغيرهم الذين تسند إليهم دفة الحكم، وما يقومون به من أسس تطبيق العدالة عن طريق رفع المظالم عن الرعية، وكذلك أسلوب رفع السلطة الحاكمة للمظالم التي يتعرض لها افراد المجتمع.

وتناولنا في هذه الدراسة الوسائل التي قامت بها السلطة الإسلامية الحاكمة في بلاد الأندلس لرفع الجور والظلم الذي يقع على أفراد المجتمع سواء اوقع من قبل الحاكم أم القضاة إن حدث مثل هذا إذ تم تطبيق العدل في اوج صوره في المراحل التاريخية التي حكم بها اثنان من الحكام هما :الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، والحاجب المنصور العامري.

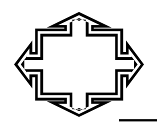


وقد عزمتُ على دراسة خطة المظالم في الأندلس بتشجيع من أساتذتي ، لاسيما وأن هذا الموضوع لم تنفرد به دراسة اكاديمية متكاملة، ولم تسلط عليه الأضواء كما ينبغي، وفي حدود إطلاعنا لم نعثر على احدٍ كتب في هذا الموضوع إلا ما كتبه الدكتور حمدي عبد المنعم في كتابه ((ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصاته مقارنا بالنظم القضائية الحديثة)) إذ تناول المؤلف في كتابه ولاية المظالم عبر العصور من عصر قبل الإسلام حتى العصر الحديث. وتناول المظالم والنظر فيها في مراكز الخلافة الإسلامية في المشرق والمغرب إلا إن أهم ما يؤخذ عليه في هذا الجانب هو أنّهُ لم يفرد للأندلس إلا صفحات قليلة لا تتجاوز سبع صفحات من كتاب يربو على (٣٣٠) صفحة، مقرًا ومعترفًا بقلة النصوص التاريخية التي تناولت المظالم في الأندلس على خِلافِ ما كان عليه الأمر في المشرق الإسلامي ، كما إن المؤلف اكتفى بذكر بعض النصوص والحوادث من دون إن يعرضها للمناقشة.

وقد واجهتنا الكثير من الصعوبات منها قلة المعلومات التاريخية الخاصة بالنظر في المظالم، وبعثرتها في بطون المصادر الأندلسية وكان علينا تتبع المعلومات واستقصاؤها من هذه المصادر، وعن طريق تحليل هذه المعلومات، أصبح بمقدور الباحثة إبراز صورة النظر في المظالم في الأندلس.

وقد انتظمت الرسالة في أربعة فصول، يسبقها مقدمة، وتليها خاتمة.

أما (الفصل الأول) فقد خصصناه لدراسة (نشوء وتطور النظر في المظالم والفتح العربي الإسلامي للأندلس)، وتألّف من مبحثين، خُصِّص الأول منها للنظر في المظالم لغة وإصطلاحًا، والأصل التاريخي لنشوء النظر في المظالم، والنظر في المظالم وتطوره عبر العصور التاريخية (عصر صدر الإسلام، العصر الراشدي، العصر الأموي، العصر العباسي) وخصصت الثاني للحديث عن (أسبانيا) قبل الفتح العربي الإسلامي (التسمية، الموقع، التاريخ، السكان)، وتاريخ الفتح العربي الإسلامي لشِبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا)،



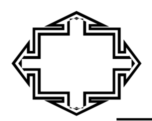
أما (الفصل الثاني) فخصصناه لدراسة النظر في المظالم في عصر الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨ - ٣١٦هـ / ٧٥٥ - ٩٢٨م)، وقد بحثنا فيه النظر في المظالم في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٩م)، والأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م)، والأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م)، والأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)، والأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، والأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م)، والأمير عبد الله بن محمد (٢٧٣-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م).

و(الفصل الثالث) أفردناه لدراسة النظر في المظالم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦ -٣٩٩هـ/٩٢٨ -١٠٠٨م)، وقد تناولنا فيه النظر في المظالم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠ -٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)وخطة المظالم في عصر الخليفة الحكم الثاني (المستنصر بالله) (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م)، والنظر في المظالم في عصر الحجابة العامرية (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦- ١٠٠٨م)، وقد تضمن هذا الأخيرالنظر في المظالم في عهد الحاجب المنصور (٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠٢م)، والحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر (٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠٢-١٠٠٨م).

أما الفصل الرابع فقد أفردناه لدراسة خطة المظالم وعلاقتها بالخطط الأخرى في الأندلس، وكان في أربعة مباحثٍ الأول (علاقة خطة المظالم بخطة القضاء)، والثاني (علاقة خطة المظالم بخطة الحُسبة)، والثالث(علاقة خطة المظالم بخطة الشرطة) والرابع (علاقة خطة المظالم بخطة الحجابة).

وقد ختمنا الفصول بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة مُتبِعَةً ذلك ثبتًا بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في الدراسة، ثم ختمتُ الرسالة بملخصٍ لها باللّغة الإنكليزية.

والجدير بالذكر أنَّنا اتبعنا في كتابة فصول هذه الرسالة الأسلوب الوصفي التحليلي القائم على المنهج التاريخي.



نطاق البحث وعرض المصادر

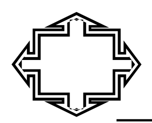
حاولنا في هذه الدراسة الاعتماد على أمّهات المصادر التاريخية الأندلسية، والمراجع التي تتسم بالدقة، والتي أفدنا منها في توثيق المعلومات وتحليلها، لما تحتويه من مضامين مختلفة، ولابد من الوقوف على أبرزها للتعرف على مدى أهميتها وفائدتها للدراسة، ومن هذه المصادر كتب التاريخ العام.

١- كتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول تم تأليفه في القرن الرابع أو الخامس الهجري، ويعد من المصادر المهمة في تاريخ الأندلس، لدقة إخباره، وإشارته إلى سيرة الحكام في إدارة حكم الأندلس، وقد تضمن بعض الأخبار عن خطة المظالم.

٢- كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٩م)، وهو من المصادر القيمة الذي تضمن معلومات من الفتح العربي الإسلامي للأندلس حتى عهد الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠هـ /٩١٢م) وقد زودنا بقائمة الولاة والأمراء وصفاتهم وحكمهم وإقرارهم للحق، كما تحدث عن أعمالهم، ومنها النظر في المظالم.

٣- كتاب المقتبس لإبن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ /١٠٧٦م) الذي يُعدُ مؤلفه من أعظم مؤلفي العرب في الأندلس وقد أُطِلَق عليه لقبُ (شيخ المؤرخين) ولم يصل ألينا من مؤلفاته إلا القليل، وقسم قليل من كتابه الذي ثبت فيه التاريخ الأندلسي منذ الفتح حتى خلافة الحكم المستنصر(ت ٣٦٦هـ /٩٧٨م) وابن حيان يقدم صورة تاريخية عن الأمراء و الخلفاء في الأندلس، وكان يؤرخ بالتاريخ والشهر واليوم والساعة أحيانًا، وينقل عن رواة ثقاة نصوصًا لا نعثر عليها في المصادر الأخرى، وقد أشار في قسم من نصوصه عن تعيين الأمراء والخلفاء لمتولي الوزارات ومنها خطة المظالم.

٤- كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) وفيه قائمة بأسماء الأمراء والخلفاء والسياسة التي اتخذوها في إدارة



حكم بلاد الأندلس، وقد استفدنا منه في الإشارة الى سيرة كل حاكم منهم وإصلاحاته.

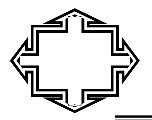
٥- كتاب المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) وهو كتاب ذكر فيه صاحبه الولاة والأمراء والخلفاء في الأندلس، مشفوعا بترجمة عن حياتهم وصفاتهم وأعمالهم وقد احتوى على أخبار عن المظالم.

٦- كتاب الحلة السيراء لابن الآبار (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، وهذا الكتاب من عيون ما أُلِّف أهل الأندلس قاطبةً، ومن المصادر التي لا يستغنى عنها من يكتب في اي ناحية من نواحي حياة أهل الأندلس، فالكتاب يضُمُ قدرا لا يحصى من المعلومات في مختلف الموضوعات، وقد إعتمد المؤلف القرون في تقسيم كتابه، فهو يبدأ بالقرن الأول وينتهي بمنتصف القرن السابع للهجرة، وقد اشتمل على ترجمة الأمراء والخلفاء وكثير ممّن تولى خطة المظالم.

٧- البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (كان حيًا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) منشور في أربع أجزاء، (تح) ج.س.كولان وليفي بروفنسال، وكان الجزء الثاني يشتمل على تاريخ الأندلس من الفتح العربي الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري (نهاية عهد الحاجب المنصور).

٨- كتاب تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول، تم تأليفه في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (١٤م) ، او في النصف الأول من القرن التاسع الهجري(١٥م). ويعد من المصادر المهمة المتعلقة بجغرافية الأندلس وتاريخها، نظرا لاعتماد مؤلفه على مؤلفات أصيلة، معظمها من المصادر الضائعة أو المبتورة، وقد أفدنا منه كثيرًا في موضوع خطة المظالم، فقد أمدنا بحكايات كثيرة عن النظر في المظالم، وتعريف كثير من المدن الأندلسية.

٩- كتاب بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق (ت ٨٦٩هـ /١٤١٥م) الذي يتحدث عن القضاء وسيرة الحكام إذ عرض فيه مسائلًا كثيرةً في مجال الحق



والمساواة، واعتمد فيه على الطرطوشي وابن خلدون وغيرهم ، وقد اعتمدنا عليه في الحديث عن بعض الخطط وعلاقتها بخطة المظالم .

١٠- كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نُشرَ بثمانية مجلدات بتحقيق د. إحسان عباس، زودنا بكثير من المعلومات الفريدة التي ينقلها من مصادر وموارد كثيرة .

كما وأفدنا من كتب التراجم الأندلسية لما في هذه الكتب من معلومات تاريخية قيمة عن الأعلام لا توجد في المصادر التاريخية، وكذلك فيها معلومات مهمة عن قيام الأمراء باسناد خطة المظالم الى القضاة وغيرهم. ونذكر بعض هذه المصادر التي منها:

١- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٤٠٣هـ /١٠١٢م).

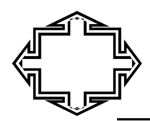
٢- الصِّلة في تاريخ علماء الأندلس لإبن بشكوال (ت٥٧٨هـ).

٣- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (ت٥٩٩هـ /١٢٠٢م).

وأفدنا كذلك من كتب القضاء في الأندلس، وقد تناولت هذه المؤلفات رد الحقوق إلى الرعية، وكذلك أفادتنا في ذكر قسم من القضاة الذين تولوا المظالم، كما أوردت بعض الحكايات عن المتظلمين والنظر في ظلاماتهم، كما أن هناك مصادر أخرى أوضحت دور المؤسسات العدلية في الأندلس مثل وظيفة النظر في المظالم ووظيفة الحسبة، ووظيفة الشرطة التي تختص بمتابعة تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية، وتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك تحت إشراف حكام الأندلس من الأمراء والخلفاء في الأندلس الذين حرصوا على محاسبة أصحاب الوظائف المذكورة بدقة وحرص شديدين من اجل حماية الرعية وتحقيق المساواة في المجتمع، ومن هذه المؤلفات في الحُسبة والقضاء:

١- قضاة قرطبة للخشني (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م).

٢- المرقبة العليا فيمن يستحِقُّ القضاءَ والفُتيا للنباهي (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م).



٣- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، وقد زودتنا بمعلومات مهمة في الفصل الرابع في المبحث الثاني: علاقة خطة المظالم بخطة الحسبة.

أ- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة.

ب- رسالة احمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب.

ت- رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة.

وإستفدنا كذلك من كتب الأحكام السلطانية للماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، وأبي يعلى الفرّاء (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، فقد تضمنا لفت الأنظار إلى الأحكام الشرعية المتناولة لمختلف جوانب الحياة الإنسانية، وتعد من المصادر الرئيسة التي تحدثت في قوانين النظر في المظالم وأحكامها، فقد كتبا فصلا عن ولاية المظالم.

المبحث الأول

نشوء وتطور النظر في المظالم

اولا ـ النظر في المظالم لغة واصطلاحا:

المظالم لغة: جمع المظلمة(١)، والظلم عند اهل اللغة هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به(٢)، وتظلم منه شكا من ظلمه فهو (متظلم يشكو رجلاً من ظلمه...)(٣)، والظُّلامةُ: اسم ما تظلمه الرجل(٤)، والظلامة: اسم مظلمتك التي تطلبها عند الظالم، وهو اسم ما أُخِذَ منك، ... ويقال: تظلَّم فلان إلى الحاكم من فلان، مظلمة تظليماً، اي انصفه من ظلمه، وإعانه عليه(٥).

اما المظالم اصطلاحاً، فهو وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ اما بنقصان او زيادة؛ واما بعدول عن وقته او مكانه(٦). او هو (التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور)، وقيل هو (التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحدِّ)(٧).

والنظر في المظالم هو ((قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة))(٨).

---

(١) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح ابراهيم الترزي، ط١، الكويت، (٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ)، ج٣٣، مادة ظلم، ص٣٦.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، تح عبد الله علي كبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مج٤، مادة ظلم، ص٢٧٥٦.

(٣)الزبيدي، المصدر السابق، ج٣٣، مادة ظلم، ص٣٥.

(٤)الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)؛ القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، ١٩٥٢م، مج٤، ص١٤٧.

(٥) ابن منظور، المصدر السابق، مج٤، ص٢٧٥٧.

(٦) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل(ت ٥٠٢هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تح مصطفى بن الفدوي، ط١، مكتبة فياض، (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص٤٠١-٤٠٢ .

(٧) الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م)، ص١١٨.

(٨) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى رباب، ط١، بيروت، ٢٠٠٣، ص٩٤؛ ابو يعلى، محمد بن الحسن الفراء (٤٥٨هـ)،

ومَمن حدّها ايضا ابن خلدون، قال ((النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونَصَفَةِ القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكأنَّه يمضي ما عجز القضاة او غيرهم عن إمضائه))(١).

إن النظر في المظالم يعد من المناصب التي لا يتولاها إلا ((ذو الاقدار الجليلة، والاخطار الحفيلة))(٢).

ثانيا ـ الاصل التاريخي للنظر في المظالم:

١. النظر في المظالم عند العرب والأمم الأخرى قبل الإسلام

يرى بعض المؤرخين ان الاصل في النظر في المظالم يعود الى حلف الفضول الذي عقد بين قبائل قريش قبل الاسلام والى ما كان يعده الفرس الساسانيون من قواعد الحكم واسس الملك عندهم(٣).

ان جلوس الحكام للنظر في المظالم قديمة ترجع الى ملوك الساسانيين فقد كانوا يرون ان ذلك ((من قواعد الملك، وقوانين العدل الذي لا يعم الصلاح إلا بمراعاته، ولا يتم التناصف إلا بمباشرته))(٤).

ويعد سبب تمسكهم بذلك أنَّ كيومرت اولُ ملوكهم كان سبب ملكه ان كثر البغي بين الناس، واكل القوي الضعيف، وفشا الظلم بينهم وشاع، فاجتمع اكابرهم وقرروا انه لا يقيم امرهم ولا يستقيم إلا بتنصيب ملك يرجعون إليه فملكوه(١).

الاحكام السلطانية، صححه محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ص٧٣.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٦٦.

(٢) القلقشندي، احمد بن علي بن عبد الله(ت٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، (١٣٣٢هـ /١٩١٤م)،ج٣، ص٢٧٧.

(٣) عليان ،شوكت ،قضاء المظالم في الاسلام ،ط١، بغداد، (١٣٧٩ هـ/ ١٩٧٧م) ،ص١٠؛ ماجد ،عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٣، ص٥٣.

(٤) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٩٥؛ ابو يعلى، الاحكام السلطانية، ص٧٥.

ويُروى أنّ من اخلاق ملوك الساسانيين جلوسهم للعامة يومين في السنة مرة في الربيع واخرى في الخريف وكان لا يحجب عنهم احد من صغير ولا كبير ولا جاهل ولا شريف، فكانوا ينظرون في مظالم الناس فينصفونهم ممن ظلمهم(٢).

ومن الروايات التي تدل على عناية ملوك الصين في النظر في المظالم ان احد ملوكهم كان اصمًا فأمر بالزام المتظلمين ارتداء ثوبا ليميزهم عن غيرهم(٣)، واما في بلاد الهند فقد كان هناك مجلس لرد المظالم واحقاق العدل(٤). اما عن النظر في المظالم عند العرب قبل الاسلام ،فمن المعروف انه في هذه البيئة التي كان يشيع فيها الفزع والهول ،ويعم فيها الاضطراب والخوف ، كان الفرد يبحث عن الامن في ظل القبيلة ، وكانت هذه القبيلة تلجأ الى التحالف مع القبائل الاخرى اذ تنضم العشائر الضعيفة الى العشائر القوية، لتحميها وترد عنها العدوان(٥).

وكانت قريش في الجاهلية تشهد من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر، ويعود ذلك الى كثرة الزعماء فيهم، وإنتشار الرياسة(٦). وقد اطلق على الاحلاف

---

(١) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ)، نهاية الارب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية، (د.ت)، ج٦، ص٢٦٦؛ عبد المنعم، حمدي، ديوان المظالم، نشأته وتطوره واختصاصاته مقارناً بالنظم القضائية الحديثة، ط١، دار الشروق،(١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص٣٩،

(٢) الجاحظ،ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب(ت٢٥٥هـ)،التاج في اخلاق الملوك ،تح، احمد زكي ،ط١، القاهرة، (١٣٣٢هـ/١٩٤١م)،ص١٥٩-١٦٣؛ جاسم،عطا سلمان، ديوان المظالم، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، بابل،٢٠١٠م، ص٢٤.

(٣) الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ)، الاخبار الموفقيات ، تح د. سامي مكي العاني، بغداد،(١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص٣٩٦؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري،(ت٢٧٦هـ)، عيون الاخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بيروت، (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، ج٢، ص٣٣٥؛ جاسم، عطا سلمان، المرجع نفسه ، ص٢٣ .

(٤) ابن المقفع، ابو محمد عبد الله روزبة، (ت١٤٢هـ)، اثار إبن المقفع، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦م،(كليلة ودمنة)، ص٤٩.

(٥) الناصر، محمد حامد،الحياة السياسية عند العرب دراسة مقارنة على ضوء الاسلام، ط٢، دار الجيل،بيروت، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٦٧.

(٦) الماوردي، الاحكام السلطانية ،ص ٩٥-٩٦.

بعض الاسماء ، والحلف هو ((العهد بين القوم ،والمحالفة المعاهدة،٠٠٠والحلف اصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد))[١].

ومن هذه الاحلاف (حلف الفضول) الذي يعد من خير احلاف الجاهلية، لأنه كان نصرةً للمظلوم وردعاً للظالم[٢].

وسببه ان رجلاً من اليمن، من قبيلة زبيد، كان قد قَدِمَ مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل، ولم يعطه الثمن، فوقف على جبل ابي قبيس عند طلوع الشمس ونادى بأعلى صوته :

يالَ قصيٍّ لمظلـومٍ بضاعتـــه   ببطن مكـّة نائي الـــدَّار والنَّفرِ

وأَشعث مُحْرِمٍ لم تقض حرمته   بين المَقامِ وبين الحِجْر والحَجَر

فاجتمعت بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تميم بن مرّة في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا ليكونُنَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه، ثم ساروا إلى العاص بن وائل وانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه. ويروى أنّ طلحة بن عبيد الله(t) سمع رسول الله (r) يقول : ((لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفاً ما احبّ أنّ لي به حُمر النعم، ولو ادعى به في الإسلام لأجبتُ))[٣].

وهذا الحلف لم يفقد فاعليته حتى في العصور الاسلامية وكان يدعى به لمواجهة ظلم الحكام للرعية، يدل على ذلك إنّ منازعة كانت بين الامام الحسين (u) وامير

---

(١) الراغب الاصفهاني ، مفردات الفاظ القران، ص١٧٨.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٦؛ الناصر، الحياة السياسية عند العرب، ص٦٩.

(٣) ابن هشام، ابو محمد عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هـ) السيرة النبوية، علق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج١، ص١٢٢-١٢٤؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٤، دار الاندلس، بيروت،(١٤٠١هـ /١٩٨١م)، ج٢، ص٢٧٠-٢٧١؛ الماوردي، المصدر السابق، ص٩٦؛ ابن كثير، عماد الدين ابو الفداءإسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت،١٩٧٨م، ج٢ ، ص٢٩١-٢٩٣؛ الناصر، محمد حامدالمرجع نفسه، ص٦٨.

المدينة الوليد بن عتبة بن ابي سفيان، فهدده الامام الحسين بأنه إذا لم ينصفه من حقه فإنه سيدعو بحلف الفضول(١).

ويعد حلف الفضول بسلطته التي كان يقضي بها بين الناس، ورفعه للظلم أَياً كان نوعه من الافراد او ممن غيرهم، وإنصاف المظلوم من الظالم بمثابة سلطة الناظر في المظالم. ويبدو أن هذا الحلف كان الجهة القضائية الوحيدة التي تتمتع بإلزام تنفيذ احكامها على المتخاصمين(٢)، ويدل على ذلك أنَّ التاريخ ذكر لنا أن هذا الحلف نجح في رد الكثير من المظالم، ومنها ردّ مظلمة رجل من خثعم قدم مكة معتمراً او حاجاً من احد وجوه قريش (نبيه بن الحجاج) وذلك بعد أن أُعتُدِي عليه(٣).

٢. النظر في المظالم في عصر صدر الاسلام :

رافق النظر في المظالم نشوء الدولة العربية الاسلامية، وقد باشره الرسول الاعظم محمد (r) بنفسه من اجل إعادة الحقوق إلى اصحابها، وانصافهم من الظالم(٤) فقد حكم بقلع نخلاً في ملك غير صاحبه ، فقد روى أنه كان لسمرة بن جندب(٥) نخل في حائط بستان رجل من الانصار، فكان يدخل عليه وهو واهله فيؤذيه فشكا الانصاري ذلك إلى رسول الله(r) وما يلقاه من سمرة، فقال الرسول (r) لسمرة بعه، فأبى، قال

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٢٤؛ عبد المنعم، حمدي، ديوان المظالم، ص٣٨.

(٢) عبد المنعم، حمدي، المرجع نفسه، ص٢٦؛ العاني، عبد الهادي صالح نجيب، العدالة في الحكم العربي الاسلامي بالاندلس من الفتح حتى نهاية عصر الخلافة (٩٢-٣٩٩هـ /٧١١- ١٠٠٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد،(١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، ص٣٣.

(٣) السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن الاندلسي (٥٨١هـ)، الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، ج٢، ص٧٣-٧٤.

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تح محمد عبد القادر عطا، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٦٦.

(٥) إبن هلال بن حَريج بن مرّة بن حزن بن عمرو بن جابر بن خُشين بن لأي بن عُصيم بن فزارة الفزاريُّ، يُكنى أبا سليمان، وكان من حلفاء الأنصار، وقد مات قبل سنة ستين. ينظر: إبن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخر، ط٣، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٥٠.

فاقلعه ، فأبى، قال هبه، ولك مثلها في الجنة، فأبى، فقال الرسول (r) أنت مضار، وقال للأنصاري اذهب فاخلع نخله[١].

فالنبي محمد(r) اختار حكماً انهى الخصومة ورد الظالم لإساءته استعمال حقه، ولإضراره بحقوق الاخرين، وليكون عبرة للأخرين ، وهو ما يدخل في نطاق النظر في المظالم[٢].

وكان الرسول (r) يراقب عماله و ولاته إن هم اساءوا إلى الرعية، فقد عزل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين، لأنّ وفد عبد القيس شكاه، و ولى بدلاً منه أبان بن سعيد، واستوصاه بعبد القيس خيراً[٣].

وكان النبي (r) ينظر في المظالم ولا تأخذه في الحقِّ لومة لائم، فقد نظر في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام (t) ورجل من الانصار، فحضره بنفسه، فقال للزبير: ((اسقِ انتَ يا زبيرُ ثمّ الانصاريُّ، فقال الانصاريُّ: إنَّه لابنُ عَمَّتِك يا رسول الله ، فغضب من قوله، وقال : يا زبيرُ أَجْرِهِ على بطنه حتى يبلُغَ الماءُ إلى الكعبين))[٤] وإنما قال: أجْرِهِ على بطنه، تأديباً له لجرأته عليه[٥].

٣. النظر في المظالم في العصر الراشدي (١١–٤٠هـ) :

انتهج الخلفاء الراشدون سياسة قريبة من سياسة الرسول (r)، حرصاً منهم على عدم المساس بما تحقق في عهده، قال ابن الطقطقي واصفًا عهد الخلافة الراشدة:

---

(١) ابن ادم، يحيى بن سليمان القرشي، (ت ٢٠٣هـ)، الخراج، تح شاكر، أحمد محمد، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ص٨٧؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (ت٢٢٤هـ /٨٣٩م)، الاموال، اعتنى به محمد حامد الغافقي، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ص٢٧٨.

(٢) عبد المنعم، حمدي، ديوان المظالم، ص٥١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٦٦.

(٤) ابن ادم الخراج، ص١٠٦–١٠٧؛ ابو داوود، سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ)، سنن ابي داوود، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة، (١٣٦٩هـ –١٩٥٠م)، ج٣، ص٤٢٩؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٩٤؛ ابو يعلى، الاحكام السلطانية، ص٧٤.

(٥) الماوردي المصدر نفسه، ص٩٤؛ ابو يعلى، المصدر نفسه، ص٧٤.

((إنها كانت اشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الاشياء))[١].

ويدل على ذلك ما جاء في اول خطبة للخليفة ابي بكر الصديق(t) (١١-١٣هـ /٦٣٢-٦٣٤م)، إذ قال: ((الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه إن شاء الله))[٢].

فالصديق تعهد لهم أن يسير فيهم بالعدل فلا تمنعه قوة الظالم ان ينصف منه المظلوم، ولا يمنعه ضُعف المظلوم أن ينصفه من ظالمه[٣].

وكان يستقصي عن المظالم من خلال سؤال الناس عن ولاتهم، وفيما إذا كان احد يشتكي من ظلامة او يطلب حقاً[٤].

أما الخليفة عمر بن الخطاب (t) (١٣-٢٣هـ) فقد تتبع المظالم الواقعة من الولاة أو الجند على الرعية، فكان لا يفرق في عدله بين امير وسوقة، ولا بين والٍ ورعية، وقصة ابن عمرو بن العاص الذي ضرب مصرياً، وكيف ترك عمر بن الخطاب للمصري أن يقتصّ من ابن عمرو، وأرسل عمر عبارته المشهورة لعمرو بن العاص (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً)[٥].

وكان عمر يجمع عماله في موسم الحج من كل عام يسألهم عن أعمالهم، ويسأل الناس عنهم ليرى قدرتهم على الاضطلاع بواجباتهم، وتنزههم عن الافادة لأنفسهم أو لذويهم[٦].

---

(١) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية،ط٢، دار صادر ، بيروت، (د.ت)، ص ٢٩.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية، ص٢٢٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٣، ١٣٦.

(٣) عبد المنعم، حمدي، ديوان المظالم، ص٥٥.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، مج٣، ص١٣٩.

(٥) ابن اعثم الكوفي، احمد بن محمد (ت٣١٤هـ)، الفتوح، ط١، حيدر اباد الدكن، الهند، (١٣٨٨هـ-١٣٩٥هـ)، ج٢، ص٨٢-٨٣؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، تاريخ عمر بن الخطاب، مطبعة توفيق الادبية، القاهرة، (د.ت)ص٩٩-١٠٠؛ عبد المنعم، حمدي، ديوان المظالم، ص٥٦؛ جاسم، عطا سلمان، ديوان المظالم، ص٤٩.

(٦) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، ج٣، ص١٣؛ حمدي، المرجع نفسه، ص٥٨.

وحرص عمر بن الخطاب في آخر عهده أن اتيح له أن ينظر في امور الناس بنفسه، فيتفقد شؤونها، ويرى تصرف عماله فيها، فقد روي عنه أنه قال: ((لئن عشت أن شاء الله لاسيرن في الرعية حولاً، فأني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون الي، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم اسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم اسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم اسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا))[١].

ولكنَّ الاجل حال بينه وبين ما اراد، وليس كلُّ ما يتمنى المرء يدركُهُ.

ونجد الامام علي بن ابي طالب (u) سطر لنا دروساً بليغة من خطب واقوال وافعال في الظلم والامر بتجنبه[٢]، إذ جاء في العهد الذي كتبه لمالك الأشتر النخعي يوم ولاه مصر : ((انصِف الله وانصِف الناس من نفسك ومنْ خاصة اهلك ومن لك فيه هوًى مِنْ رعيتك، فإنك إلا تفعل تَظْلِم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومنْ خاصمه الله ادحض حجته، وكان لله حرباً حتى يَنزِعَ ويتوبَ. وليس شيءٌ ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامةٍ على ظلمٍ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمينَ بالمرصاد))[٣].

ويرى المقريزي أنَّ الامام علي (u) اول من جلس للنظر في مظالم الناس، إذ لم يجلس لها احد قبله[٤].

وكان الامام علي قد اتخذ بيتاً توضع فيه الاوراق المكتوب فيها شكاوي المتظلمين[١].

---

(١) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة ، (١٩٦٠–١٩٦٩) ج٤، ص٢١٠–٢١٢؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص١٢٣؛ ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٩–٤٠.

(٢) جاسم، عطا سلمان، ديوان المظالم، ص٥١.

(٣) الامام علي بن ابي طالب (u) (ت٤٠هـ)، نهج البلاغة من مختارات الشريف الرضي، شرح الاستاذ الشيخ محمد عبده، مكتبة مصر ودار المرتضى، العراق، ٢٠٠٦م، ص٣٠٧.

(٤) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار((الخطط المقريزية))، مطبعة الساحل الجنوبي، لبنان، ١٩٥٩م، مج٣، ق١، ص١٢٦.

ومن قضائه (u) انه تنازعت عنده امرأتان في ولدٍ، فدعا بسكين ليشقّه بينهما نصفين، فقالت احداهما من هول ما ترى انه ليس ابني، فكانت امهُ حقاً[٢].

٤. النظر في المظالم في العصر الاموي (٤١-١٣٢هـ):

توسع النظر في المظالم وتطور بشكل واسع في العصر الاموي نظراً للتحول الاجتماعي والاقتصادي في الحياة، ولما تجاهر الناس بالظلم والتغالب ولم تعد تكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب احتاجوا في ردع المتغلبين وانصاف المغلوبين إلى نظر المظالم الذي يمتزج فيه قوة السلطنة بنصفة القضاء، فكان اول من افرد للظلمات يوماً يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر هو عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م)، فكان إذا وقف منه على مشكلة او احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه ابي إدريس الاودي[٣] فينفذ فيه احكامه ، فكان ابو ادريس هو المباشر وعبد الملك هو الامر[٤].

وكان عبد الملك بن مروان لا يرتضي لعماله أن يقبلوا هدية لأنّه باب من ابواب الرِّشى، فروي ان عبد الملك لما بلغه أن احد كتابه قبل هدية، احضره وقال له : ((والله ان كنت قبلت هدية لا تنوي مكافاة المهدي لها انك لئيم دنيء – وان كنت قبلتها تستكفي رجلا لم تكن تستكفيه لولاها انك لخائن، وان كنت تنوي تعويض المهدي عن

---

(١) العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت٣٩٥هـ)، الاوائل، تح محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، ص١٦٧؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الوسائل إلى مسامرة الاوائل، تح سعد اطلس، بغداد، (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)، ص٩٨.

(٢) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٩٥؛ التستري، محمد تقي، قضاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب (u) ، ط٤، النجف، ((١٣٣٨هـ/ ١٩٦٣م)،ص٨.

(٣) ابراهيم بن ابي جرير، ويقال له ابن حديد، ينظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني(ت٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الانساب، اعتنت بنشره مكتبة القدسي، القاهرة، (١٣٥٦-١٣٦٩هـ)، ج١،ص٧٤.

(٤) الماوردي ، المصدر نفسه، ص٩٥؛ ابو يعلى ، الاحكام السلطانية ، ص٧٥؛ المقريزي، الخطط، مج٣، ق١، ص١٢٧.

هديته وان لا تخون امانة ولا تثلم له ديناً، فلقد قبلت ما بسط عليك لسان معامليك واطمع فيك سائر مجاوريك وسلبك هيبة السلطان)) ثم صرفه عن عمله(١).

ومن الظلامات التي نظر فيها عبد الملك وانصف فيها اهلها، مظلمة روح بن زنباع الجذامي من ابنه الوليد في زراعة كانت له بجانب زراعة الوليد، إذ طلب من ابنه أن يهب زراعته وما فيها إلى روح ليرضيه(٢).

ثم زاد من جور الولاة وظلم العتاة واغتصاب الاموال في دولة بني أُمية مالم يكفهم عنه إلا أقوى الايدي وانفذ الاوامر، فكان عمر بن عبد العزيز، (رحمه الله) (٩٩-١٠١هـ /٧١٧-٧٢٠م) اول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها وراعى السنن العادلة وإعادها، ورد مظالم بني امية على أهلها، حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها واغلظ: انا نخاف عليك من ردها العواقب، فقال كلمته المشهورة: (كل يوم أتقيه واخافه دون يوم القيامة لا وقيته)(٣).

لقد كان هدف عمر بن عبد العزيز تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع المظالم عن الرعية والمساواة بينهم وإرجاع إلى كل ذي حَقٍّ حقّهُ ، وهو القائل : ((ليس احد من امة محمد في شرق الارض ولا غربها إلا وانا أريد ان اؤدي إليه حقه من غير طلب منه))(٤)، وكان عمر اذا صلى العشاء دعا بشمعة من مال الله ليكتب في امور المسلمين والمظالم فترد في كل ارض، وإذا أصبح جلس في رد المظالم، وامر بالصدقات ان تقسم على اهلها، فكان نهاره مشغولاً في رَدِّ المظالم(٥).

---

(١) الجهشياري، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ)، الوزراء والكتاب، ط١، مطبعة الباب الحلبي، القاهرة، (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ص٤٣-٤٤.

(٢) ابن عبد البر : ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح علي محمد البجاوي، القاهرة، (د.ت)، ق٢، ص٥٠٣.

(٣) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٧٨؛ ابو يعلي، الاحكام السلطانية، ص٧٥.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص١٦٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية،ج٩، ص٢٠٠؛ الدميري، ابو البقاء كمال الدين (ت٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الاسلامية، بيروت، (د.ت)، ج١، ص ٧٩.

ومن الظلامات التي ردها عمر بن عبد العزيز مظلمة رجل من حضرموت وقد تعلق بلجام بغلته وهو يقول: اتيتك بعيد الدار مظلوماً! ولما سأله عمر عن ظلامته ؟ اجابه الرجل: بان أرضهُ وأرضَ آبائه أُخِذت منه في عهد الوليد وسليمان، فأمَرَ عمرُ أن يُكتبَ إلى بلاده بإرجاع أرضه له ان أقام شاهدي عدل على صحة دعواه، ودفع للرجل ثلاثين ديناراً من نفقة رحلته هذهِ[(١)].

كما قام عمر بن عبد العزيز برد مظلمة جماعة من المسلمين من روح بن الوليد بن عبد الملك في حوانيت كانت لهم بحمص[(٢)].

٥. النظر في المظالم في العصر العباسي:

في هذا العصر جلس لها من خلفاء بني العباس جماعة، قال الماوردي: ((فكان اول من جلس لها المهدي، ثم الهادي، ثم الرشيد، ثم المأمون، فآخر من جلس لها المهتدي، حتى عادت الاملاك إلى مستحقيها))[(٣)].

وكان الخلفاء احياناً يجعلون النظر في المظالم لقضاتهم كما((فعله المأمون ليحيى بن اكثم، والمعتصم لأحمد بن ابي داوود))[(٤)]. جلس المهدي بن ابي جعفر المنصور (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) للمظالم ،واحتذى حذو الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز[(٥)]. وروى عنه انه اذا جلس للنظر في المظالم قال : ((ادخلوا علي القضاة ،فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم لكفى))[(٦)].

---

(١) البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت في الربع الاول من ق ٤هـ)، المحاسن والمساوئ، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٣٨٠هـ /١٩٦٠م)، ص٤٩٣.

(٢) ابن عبد الحكم، ابو محمد عبد الله (ت ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز، علق عليه احمد عبيد، ط٥، بيروت، (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص٦٠-٦١.

(٣) الاحكام السلطانية، ص٩٥؛ ابو يعلى ، الأحكام السلطانية، ص٧٥؛ ابن خلدون، المقدمة، ص١٦٦.

(٤) ابن خلدون ، المصدر نفسه، ص١٦٦.

(٥) الماوردي،المصدر السابق ،ص٩٥؛ابو يعلى، المصدر السابق، ص٧٥؛ المقريزي، الخطط، مج٣،ق١،ص١٢٧.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل ،ج٨،ص١٧٢؛ ابن الاثير،الكامل،ج٥، ص٧٢؛ابن الطقطقي ، ص١٥٥؛ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن عبد الله(ت ٨٢١هـ)، مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تح عبد الستار احمد فراج، الكويت، ١٩٦٤م،ج١، ص١٨٥.

ذكر الطبري عن هشام بن ابراهيم أنَّ المهدي ارجع الى الامام جعفر الصادق (u) ضيعته المعروفة باسم((عين ابي زياد)) والتي سبق ان تظلم فيها الى ابي جعفر المنصور(١).

وحين تظلم الى المهدي وفد من البصرة من سعيد بن دعلج الذي كان على أحداث البصرة، امر الخليفة بعزله ، وتولية عبد الملك بن ايوب مكانه، وامرهُ أن يرد إلى المتظلمين حقوقهم من سعيد(٢).

ومن المظالم التي اولاها المهدي عنايته بمظلمة آل بكرة من ثقيف ، مطالبين بها برد نسبهم الى ولاء رسول الله (r) فامر المهدي بان يكتب لهم كتاب يقرأ لهم في المسجد الجامع على الناس، يتضمن ارجاع ولائهم الى الرسول (r) ، ونسبهم الى نفيع بن مسروح ، وان ترد على من أقرَّ منهم حقوقهم السابقة كافة.

ونتج عن هذا الامر اخراج آل زياد من نسبهم الذي الحقهم به معاوية بن ابي سفيان وارجاعهم الى نسبهم السابق والحاقهم بابيهم عبيد، وامهم سمية(٣).

ومن خلفاء بني العباس المأمون عبد الله بن هارون(١٩٨-٢١٨هـ /٨١٣-٨٣٣م) الذي اعتنى بالرعية، وقرب الفقهاء، وجلس للنظر في المظالم، متقرباً بذلك إلى الناس، ليكونوا الى جانبه في نزاعه مع اخيه الامين(٤).

وكان المأمون يجلس للنظر في المظالم في يوم الاحد، فنهض ذات مرة من مجلسه، فلقيته امرأة في ثياب رَثَّة متظلمة، فأمرها بالانصراف لحضور الصلاة، فانصرفت وحظرت يوم الاحد في اول الناس، فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على راسك العباس بن امير المؤمنين، فقال لقاضيه

---

(١) تاريخ الرسل،ج٧،ص٦٠٣.

(٢) الطبري ، المصدر نفسه،ج٨، ص١٢٠-١٢١؛ابن الاثير، الكامل ، ج٥، ص٥٣.

(٣) الطبري، المصدر نفسه،ج ٨ ،ص١٢٩-١٣٢؛ المقدسي، مطهر بن طاهر(ت ٣٨٧هـ)، البدء والتاريخ، تح كلمان هوار، (شالون، ١٨٩٩-١٩١٦م) ،ج٦ ،ص٩٥-٩٦.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٢؛ الجهشياري، الوزراء، ص٢٧٨؛ الطرطوشي، ابو بكر محمد بن محمدبن الوليد (ت٥٢٠هـ)، سراج الملوك، بولاق، مصر، ١٢٨٩هـ، ص١١٤.

يحيى بن اكثم، وقيل لوزيره احمد بن ابي خالد: اجلس معه وانظر بينهما، فأجلسها معه، فنظر بينهما بحضور المأمون وجعل كلامهما يعلو، فزجرها بعض حجابه، فقال له المأمون: دعها، فان الحقَّ انطقها، والباطل اخرسه، وامر برد ضياعها عليها[1].

ومن المظالم التي ردها المأمون مظلمة موسى بن الحسن بن محمد بن ابي العباس الطوسي الذي وقف للمأمون متظلماً، فانصفه واخذ له بحقه[2].

استمر النظر في المظالم عبر العصور التاريخية، وهذا الأمر ينطبق على الأندلس أيضًا؛ إذ كان أمراء بني أمية وخلفاؤهم يشرفون على المظالم، والنظر في أمور المتظلمين[3]، إلا انهم كانوا يحيلون بعض القضايا إلى الوزراء والقضاة وصاحب الشرطة والعمال[4]، وهذا ما سنتناوله، في الفصول القادمة بإذن الله.

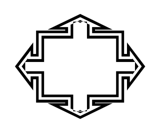
---

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٤٢-٣٤٣؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٤٩٧؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٠٢.

(٢) البهيقي، المصدر نفسه، ص٤٩٨-٥٠٠.

(٣) الكبيسي، خليل ابراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس، في عصري الامارة والخلافة، اطروحة دكوراه غير منشورة، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٧٢.

(٤) ابن حيان القرطبي، ابو مروان حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ)، المقتبس في اخبار الاندس، تح شالميتا، كورنيطي، م٠صبح، نشر المعهد الاسلامي العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩، ج٥، ص٤٧.



المبحث الثاني

الفتح العربي الإسلامي للأندلس

أولًا: اسبانيا قبل الفتح ا لعربي الاسلامي(التسمية، الموقع،التاريخ، السكان)

عُرفت اسبانيا بأسماء عديدة منها شبه الجزيرة الايبيرية (La Peninsula Iberia) وكانت تدعى في الازمنة القديمة ايبارية، ثم اطلق عليها الرومان إسم (Hispania)، ومن هنا جاء اللفظ العربي (اشبانية) او(اصبانية) ،ثم تحول اللفظ في القرون الوسطى الى (Espania) ومنها اشتقت الكلمة الانكليزية(Spain)[1].

اطلق العرب المسلمون على شبه جزيرة ايبيريا اصطلاح (الاندلس)، وهي كلمة اعجمية لم تستعملها العرب في القديم، وانما عرفها العرب في الاسلام[2].

واشتق المؤرخون العرب هذا الاسم من كلمة (الاندليش او الاندلش)، وهي الاسماء التي اطلقت على الوندال الذين سيطروا على هذه البلاد بعد ان اغاروا عليها في القرن الخامس الميلادي واخذوها من الرومان[3]، وسموها في اول الأمر باسم فاندلسيا (Vandalusia)، ويروى ايضا ان اول من سكنها قوم كانوا يعرفون بالاندلش فسمي بلدهم بهم .

---

(١) البكري، ابو عبد الله عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ) ، جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تح عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد، بيروت، ١٩٦٨م، ص٥٨، ؛ طه، عبد الواحد ذنون، الاستقرار العربي في شمال افريقيا والاندلس، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ص٦٨.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م، ج١، مادة الاندلس، ص٢٦٢.

(٣) البكري، المصدر السابق،ص٥٧؛ ابن عذارى المراكشي، ابو عبد الله محمد (ت٦٩٥هـ)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح ج. س. كولان ، وليفي بروفنسال، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص١؛ المقري، ابو العباس، احمد بن محمد بن احمد (ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس، ط٥، دار صادر، بيروت، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج١، ص١٣٣؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٣٢.

ثم أطلقوا عليها بعد ذلك (الأندلس) بعد ان غيروا الشين الى السين واطلقوا عليهم ايضا اسم الجزيرة[١].

اطلق المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون على شبه الجزيرة الايبيرية كلها او ما يعرف اليوم بـ (إسبانيا والبرتغال) مصطلح(الاندلس)، الذي يشمل مدلوله الجغرافي الرقعة التي تبسط الدولة الاسلامية سيطرتها عليها في شبه الجزيرة (الايبيرية)[٢] ، وفي آخر الامر اقتصرت هذه اللفظة على مملكة غرناطة[٣].

أما بالنسبة للموقع فتقع شبه جزيرة ايبيريا جنوب غرب اوربا، اخذت مساحة من الارض على شكل اشبه بالمثلث[٤]. يفصلها شمالاً جبال البرت، ويحيط بها من الشمال والشمال الغربي (المحيط الاطلسي)، او ما يسميه المؤرخون العرب (البحر المحيط، او بحر الظلمات). ومن الشرق والجنوب البحر المتوسط ويفصلها من الجنوب عن المغرب

---

(١) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب، ج١، ص١؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص١٣٣، الحجي التاريخ الاندلسي، ص٣٢، مكي، محمود علي ، تاريخ الاندلس السياسي، (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) ، بحث ضمن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس،اعداد مركز دراسات الوحدة العربية ، باشراف سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٥٧.

(٢) كولان، الاندلس، دائرة المعارف الاسلامية ، دار الكتاب المصري ، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٩؛العبادي، احمد مختار، تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص٢١-٢٢؛ الحجي، المرجع نفسه، ص٣٢-٣٣.

(٣) هي اقدم مدن كورة البيرة واعظمها واحسنها واحصنها، يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم، وبينها وبين البيرة اربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً. ينظر: الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت بعد ٥٤٥هـ)، الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، (المعهد الفرنسي)، مجلد٢١، دمشق، ١٩٦٨م، ص٩٤؛ الادريسي،ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت ، ١٩٨٩م، مج٢، ص٥٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٤، ص١٩٥.

(٤) الادريسي، المصدر نفسه، مج٢، ص٥٣٥؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، تح عبد القادر بوباية ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م)، ص٤٠.

مضيق جبل طارق، سماها العرب شبه جزيرة الاندلس؛ لان المياه تحيط بها من ثلاث جهات[١].

واسبانيا بلاد جبلية تتخللها الوديان واحواض الانهار[٢]. وتتشابه أحوال الاندلس العامة مع احوال الولايات الاسلامية في انها تتميز بكونها((شامية في طيب ارضها ومياهها ، يمانية في اعتدالها واستوائها، اهوازية في عظيم جباياتها، عدنية في منافع سواحلها، صينية في جواهر معادنها ، هندية في عطرها وطيبها ، واهلها عرب في العزة والانفة وعُلُوَّ الهِمَّة وفصاحة الألسُن وطيب النفوس، وإباية الضيم ، وقلة احتمال الذل، هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها ،.. بغداديون في نباهتهم وذكائهم وحسن نظرتهم وجودة قرائحهم ولطافة اذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم ورِقَّة اخلاقهم وظرفهم ونظافتهم ...))[٣].

اما من الناحية السياسية لتلك البلاد فقد احتل (القوط الغربيون) (Visigodos) شبه جزيرة ايبيريا وهم من القبائل والشعوب البربرية النازحة من شمال اوربا ، بعد طردهم لقبائل الوندال (Vandalus) ٤٢٩م ، وامتازوا بالتخريب والتدمير والوحشية والسلب، والنهب[٤]، وسادت اسبانيا اوضاع متباينة في السياسة وتأخر في المستوى المعاشي في المجتمع ، حيث الجهل وانعدام الحرية والظلم والاستغلال والتخلف

---

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣٥؛ المراكشي، عبد الواحد بن علي ،(ت ٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ) ،ص٧؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٣١-٣٢.

(٢) عبد الواحد المراكشي ، المصدر نفسه، ص٧؛ مؤلف مجهول تاريخ الاندلس ، ص٤١ ،٤٤؛ الحجي، المرجع نفسه ،ص ٣١-٣٢؛ العبادي، تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٢.

(٣) ابن غالب، محمد بن ايوب الاندلسي(ت في القرن ٦ هـ) ، فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ،تح عبد البديع لطفي ،مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٢؛ الحميري، عبد المنعم الصنهاجي الفاسي ، (ت٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧م، ص٣٠؛ المقري ، نفح الطيب، ج١، ص١٢٦.

(٤) مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص١٥٠؛ طرخان ، ابراهيم علي ، دولة القوط الغربيين ، القاهرة ١٩٥٨م، ص٦-٧؛ مؤنس، حسين ، فجر الاندلس، ط١، العصر الحديث، دار المناهل، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢، ص١٧.

الاقتصادي وتسلط الكنيسة واعتنق القوط الغربيين الكاثوليكية واندمجوا بالإسبان واتخذوا طليطلة عاصمة ملكهم[١].

وكان تاريخ القوط فيما بينهم عبارة عن سلسلة من المؤامرات والحروب الداخلية والاغتيالات ،والسبب في ذلك يعود الى سياسة القوط الداخلية ونظام حكمهم الذي اعتمدوه ، فضلا عن وجود صراعات حول منصّة الحكم، كل هذه الاسباب جعلت البلاد في فوضى واستبداد[٢].

وحين تولى غيطشة(Witiza) سنة ٧٠٠م البلاد كانت الحالة في غاية السوء واضطربت البلاد وظهرت فئة معارضة له يمثلها لذريق (Rodrigo) وفي هذه الاثناء توفي غيطشة واستولى لذريق بدعم من انصاره على البلاد، واصبحت البلاد في حالة فوضى سياسية[٣].

أما بالنسبة إلى حالة المجتمع في شبه الجزيرة الإيبيرية قبل دخول العرب المسلمين بلاد الاندلس كانت اوربا تعيش عصورا مظلمة ساد فيها الظلم، وتفشى الفقر والجهل والفساد، واغلب الناس يعيشون فيها في شقاء وبؤس، بسبب سوء الاحوال المعاشية، وسيادة الاستغلال المتمثلة بالطبقة الحاكمة، التي حرمت ابناء المجتمع من العدالة والمساواة، في حين كانت الطبقات العليا تنعم بالعيش الرغيد والرفاهية ، وكان

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٠.

(٢) مؤنس ، فجر الأندلس، ص٢١؛ الحجي ،المرجع السابق، ص٢٣.

(٣) ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت ٣٦٧هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تح عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م، ص٢٨؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها (رحمهم الله) والحروب الواقعة بها بينهم، تح الابياري، ابراهيم، دار الكتب الاسلامية، طبع بمطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٥؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٥١؛ مؤنس، المرجع نفسه، ص٣٢-٣٣.

نظام الطبقات سائدا في المجتمعات الاوربية ، إذ توجد داخل المجتمع الاسباني الواحد اربع طبقات[1]:

١- طبقة النبلاء : متمثلة بالملك والامراء والوزراء وقادة الجيوش، وكانت هذه الطبقة تملك مقادير البلاد واراضيها وثرواتها، وقد عانى عامة الشعب من تسلط هذه الطبقة وظلمها وبطشها، وفداحة الضرائب التي كانت تفرضها.

٢- طبقة رجال الكنيسة: وهي طبقة غنية وقوية كانت تشارك النبلاء في حكم البلاد ويتمتعون بسلطات ونفوذ كبيرة كما كانوا يؤازرونهم في تأييد القوانين التي كانوا يسنونها لحكم البلاد واستعباد الرعية، وكانوا يسخِّرون عامة الشعب للعمل في الاراضي والقطاعات الواسعة التابعة للكنيسة، وكانت هذه الطبقة لها نفوذ غير محدود بما تملكه من تأثير روحي على الناس.

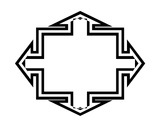
٣- طبقة الزراع والتجار: وكانت هذه الطبقة تمثل عامة الشعب، وافرادها يعملون في الزراعة والتجارة، وقد أُرهِقوا بالضرائب الباهظة، وتحملوا إلى جانب العبيد مسؤولية الدفاع عن الوطن إذا ما تعرض للخطر.

٤- طبقة عبيد الارض (الأقنان): وكان افراد هذه الطبقة ملكا لصاحب الارض ،ينتقلون مع ملكية الارض من صاحب ارض الى آخر، ويتصرف فيهم بيعًا وشراءً، وكان اغلبهم من اسرى الحروب. وبجانب هذه الطبقات وُجد اليهود الذين لاقوا الاضطهاد أحيانًا؛ لذا كانوا لا يؤيدون هذا الملك ويحاولون تغييره.

إذاً يُمكن القول أن شبه جزيرة ايبيريا عانى أهلها الكثير من الظلم والفقر والضرائب الثقيلة، وهذه الظروف ساهمت في إنجاح ذلك الفتح؛ تلك هي حالة شبه جزيرة ايبيريا قُبيل الفتح العربي الاسلامي، حاولت اعطاء صورة مبسطة عنها.

---

(١) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة ،ص١٧: طه، الفتح والاستقرار، ص٨١؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ص٥؛ في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت، (د.ت)، ص٢٥٩-٢٦٠.



ثانياً: الفتح العربي الاسلامي للأندلس (شبه الجزيرة الإيبيريّة):

كان الفتح الاسلامي لشبه جزيرة ايبيريا قد حدث في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ -٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٤م) تحت قيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير[١].

بدأ طارق بن زياد تنفيذ خطة الفتح في رمضان سنة(٩١هـ -٧١٠م) بأرسال حملة استطلاع بقيادة ابو زرعة طريف بن مالك المعافري[٢]، وكانت هذه القوة الاستطلاعية تتألف من اربعمائة راجل ومئة فارس ، وقد أبحر هؤلاء المقاتلين على متن اربع مراكب، هيئت من قبل يوليان، وقد نزل طريف على جزيرة بالوماس ، التي اطلق عليها فيما بعد باسم جزيرة طريـــف (Tarifa) وقد اثمرت جهود طريف هذه بنجاح باهر ،وقام بعدة غارات في هذه المنطقة من دون ان يلاقي اية مقاومة ، ثم عاد بعد ذلك بالغنائم الوفيرة[٣].

وهذا النجاح هو الذي شجع القائد طارق بن زياد على الاستمرار في خطة الفتح، فعبر طارق بن زياد الى الاندلس في اثني عشر الف رجل ، واحتل الجبل الذي يعرف اليوم بـ(جبل طارق) وذلك سنة (٩٢هـ – ٧١١م) ، وقد تمكن طارق من النزول

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص٣٣-٣٥؛ ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك التوزي، (من علماء القرن السادس الهجري)، الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تح عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ج١، ص ٢٨٩-٢٩١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٥٣ ،١٥٥؛ نعنعي ، عبد المجيد ، تاريخ الدولة الاموية في الاندلس ،التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٥٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٤٣.

(٢) مسلم بربري، وهو مولى موسى بن نصير، وتنسب اليه جزيرة طريف، ينظر: ابن الكردبوس ، المصدر نفسه، مج١، ص٢٩٢؛ مؤلف مجهول ، المصدر نفسه،ص١٥٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٩.

(٣) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٦؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء،مج١، ص٢٩٢؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٥٣؛ المقري، المصدر نفسه ،ج١، ص٢٢٩-٢٣٠؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،٢٠٠٣م،ج١، ص٤٠.

المفاجئ من دون ان يراه احد على الشاطئ[١] وقد نجح طارق بن زياد في حملته هذه ودمر الحاميات القوطية الموجودة هناك، وجعل الجزيرة الخضراء[٢](Algeciras) قاعدة لانطلاقه عبر فتح المناطق الاخرى فضلا عن قربها من الغرب الاقصى لتكون منطقة اتصال بينه وبين قائده موسى بن نُصير[٣].

جرت عدة معارك بين الجيش العربي الاسلامي والقوط بدات بمعركة صغيرة دمرت بها القوات العربية قوات احد قادة القوط المدعو(تدمير)، وتلتها معركة فاصلة وقوية اطلق عليها معركة شذونة(Sidonia) سنة (٩٢هـ / ٧١١م) انهزم فيها القوط وقتل ملكهم (لذريق) (Rodrigo) وقام بمطاردة المنهزمين من القوط[٤]، وادرك القائد موسى بن نُصير خطورة انتشار الجيش العربي الاسلامي في الاندلس بهذا الشكل السريع الواسع من دون تغطية عسكرية كافية؛ لذا قاد حملة جديدة الى الاندلس للحاق بطارق، فدخل موسى بن نُصير الاندلس سنة (٩٢هـ/ ٧١١م) على رأس قوة مؤلفة من ثمانية عشر ألف مقاتل عربي، وقد فتح موسى بن نصير عدة مناطق، فاستولى

---

(١) عبد الملك بن حبيب السلمي الاندلسي (ت ٢٣٨هـ) ، التاريخ، اعتنى به عبد الغني مستو، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (٢٠٠٨م/ ١٤٢٩هـ)، ص١٤٣؛ ابن القوطية تاريخ افتتاح الاندلس ،ص٣٤؛ ابن الكردبوس ،المصدر نفسه، مج١، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس، ص١٥٤؛ المقري، المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٠-٢٣١؛ عنان، المرجع نفسه،ج١، ص٤١؛ نعنعي، تاريخ الدولة الاموية، ص٥١-٥٢.

(٢) مدينة مشهورة بالاندلس،واعمالها متصلة باعمال شذونة، وتقع الى الشرق منها وقبلي قرطبة ، وقد توسطت مدن السواحل، واشرف سورها على البحر ، ينظر : ابن غالب ، فرحة الانفس، ص٢٥؛ا لادريسي ، نزهة المشتاق ،مج٢، ص٥٣٩-٥٤٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٢، ص١٣٦.

(٣) عبد الملك بن حبيب، المصدر السابق، ص١٤٣؛ ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٣٤؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٥٤؛ المقري المصدر السابق، ج١ ،ص ٢٣١؛ العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، ص٢٦٧-٢٦٩.

(٤) عبد الملك بن حبيب، التاريخ ، ص١٤٣-١٤٤؛ ابن القوطية، المصدر نفسه، ص٣٢؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٥٤-١٥٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج١، ص٥٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٦٣-٦٤.

على مدينة شذونة[١] بالقوة، وزحف شمالا الى مدينة قرمونة[٢] المحصنة فحاصرها مدة من الزمن الى ان استسلمت له ، ثم سار الى اشبيلية، فافتتحها بعد حصار شديد ، اتجه بعدها الى جنوب ماردة(Merida)[٣]، وكانت مدينة حصينة محاطة بالأسوار ، وقد فقد العرب عددا من الشهداء اثناء حصارها، ولكنها استسلمت اخيرا بعد هجمات سريعة انتهت باختراق اسوارها في سنة (٩٤هـ /٧١٣م)، وقد رافق استسلامها معاهدة صلح بين الطرفين[٤].

توجه موسى بن نصير بعد افتتاح ماردة الى طليطلة ، وحين علم طارق باقترابه ذهب اليه للترحيب به، والتقيا شمال غربي طليطلة[٥] ،بعدها دارت معركة بين قواتهم

(١) مدينة ازلية كانت من قواعد الاندلس، وتتصل نواحيها بنواحي موزورة من اعمال الاندلس ، ذات خصب كثير جدا، ومرافق عظيمة المنافع في البر والبحر ، ينظر : ابن غالب، فرحة الانفس ، ص٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٢٩؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس،ص ١١٥-١١٦.

(٢) كورة بالاندلس، يتصل عملها باعمال اشبيلية غربي قرطبة وشرقي اشبيلية ، وبينها وبين اشبيلية سبعة فراسخ، وبين قرطبة اثنان وعشرون فرسخا ، ينظر: ابن غالب، المصدر نفسه، ص٢٣؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج٢،ص٥٧٢؛ ياقوت الحموي،المصدر نفسه ،ج٤،ص٣٣٠؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه ،ص١١٢.

(٣) كورة واسعة من نواحي الاندلس متصلة بحوز فريش بين الغرب والجوف من اعمال قرطبة احدى القواعد التي تخيرتها الملوك للسكن من القياصرة والروم، وهي مدينة رائقة كثيرة الرخام عالية البنيان فيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة والتعجب، وبينها وبين قرطبة ستة ايام ، ينظر: ابن غالب ، المصدر السابق، ص٢١؛ الادريسي، المصدر السابق، مج٢، ص٥٤٥-٥٤٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص ٣٨-٣٩؛ مؤلف مجهول،تاريخ الاندلس، ص١٠٤.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس،ص٣٥؛ مؤلف مجهول،اخبارمجموعة، ص١٥-١٦؛ ابن عذاري المراكشي،البيان المغرب،ج٢،ص١٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٥٥؛ المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢٦٩-٢٧٠؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٧٥-٧٦.

(٥) ابن القوطية ، المصدر نفسه، ص٣٥؛ مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة، ص١٨؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص١١؛ ابن عذاري المراكشي ، المصدر نفسه،ج٢،ص١٣؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس، ص١٥٥؛العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي، ص ٢٨٠.

وقوات العدو في غامس، فانتصروا على القوط، ومنها بعث موسى بن نصير الى الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك بن مروان رسولين لإبلاغ الخليفة بشرى الفتح(١).

قسم موسى بن نُصير الجيش الى قسمين اعطى القسم الاول الى طارق ابن زياد والقسم الثاني بقيادته، وكل منهما واصل طريق الفتح، وحين بلغت اخبار الفتح في الاندلس الى الخليفة الوليد بن عبد الملك بوساطة الرسولين ، بعث الى موسى وطارق بالتوقف عن الفتوح ، لكن موسى وطارق اتفقا مع مغيث الرومي رسول الخليفة على مواصلة الفتح من اجل استثمار هزيمة العدو وتحقيق المزيد من الانتصارات للعرب المسلمين(٢). وعندما بلغ الخليفة ان موسى بن نصير استمر في الفتوحات ولم يتوقف كما امره بذلك بعث رسولا اخر يكنى ابا نصر، فلقيه عند قلعة لكة، واخذ بلجام فرسه وامره باسم الخليفة التوجه الى دمشق ومعه طارق، وقد لبى موسى بن نصير امر الخليفة وبدأ طريق العودة من شمال الاندلس ومعه طارق ورسولا الخليفة فوصلوا الى طليطلة، ثم اتجهوا الى قرطبة، فإشبيلية، وفيها عين ابنه عبد العزيز واليًا على الاندلس، وجعلها في الوقت نفسه حاضرة الدولة العربية الاسلامية في الأندلس(٣).

---

(١) ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي(ت ٦٥٨هـ) ،الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢،ص٣٣٤؛ مؤنس، فجر الاندلس، ص١٦١؛ نعنعي، تاريخ الدولة الاموية،ص٦٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦؛ عنان دولة الاسلام في الاندلس،ج١، ص ٥٤؛ مؤنس، فجر الاندلس، ص١٦٤؛ العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، ص٢٨٥؛ نعنعي، تاريخ الدولة الاموية، ص٦٤ ،٦٦.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٣٦؛ ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي، (ت ٤٠٣هـ) ، تح صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦،ج٢ ، ص١٢٩، ابن الكردبوس، الاكتفاء،مج١، ص ٢٩٦؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس، ص١٥٥؛ المقري،المصدر نفسه. ج١، ص٢٧٩-٢٨٠؛ عنان ، المرجع نفسه، ج١، ص٥٤، ٥٦؛ مؤنس ، المرجع نفسه، ص١٦٦؛ العبادي، المرجع نفسه، ص ٢٨١؛ نعنعي ، المرجع نفسه، ص٦٦.

وغادر موسى اخيرا اشبيلية الى افريقيا سنة (٩٥هـ / ٧١٤م) ، بصحبة طارق ومعهم الاسرى والغنائم ووصل القائدان الى دمشق(Damasco) في بداية جمادي الاولى سنة (٩٦هـ / ٧١٥م)[١].

(١) ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الاندلس، ص٣٦؛ إبن الكردبوس، المصدر نفسه، مج١، ص٢٩٦؛ مؤلف مجهول ، المصدر نفسه، ص١٥٦؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، ج١، ص٥٧؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٢٨٥؛ نعنعي ، تاريخ الدولة الأموية، ص٦٧.

أولاً: النظر في المظالم في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٩م)

الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المكنى أبو المطرِّف، والملقب بالداخل وصقر قريش وابن الخلائف[١]، عرف عنه انه كان من اهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل[٢].

وصفته المصادر الاندلسية بأوصاف سياسية و عسكرية، وامتدحت اصلاحاته، ومما ورد في وصيته إلى المتمرد سليمان بن يقظان[٣]، قائلًا: ((اما بعد، فدعني من معاريض المعاذير، والتعسف على جادة الطريق لتمدن يداً إلى الطاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألقينَّ ببابها على رصف المعصية نكالاً بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد))[٤].

---

(١) ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)، جمهرة انساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، (١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م)، ص٩٣؛ الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٨م،ص١٢؛ سبط بن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تح جنان عبد الجليل محمد الهموندي، بغداد، ١٩٩٠م، ص٣٩٩؛ ابن الأبّار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٥؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ج٥، ص٢٤٤؛ ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م، ج٤، ص٢٦٧.

(٢) ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)، رسائل ، تح احسان عباس، ط٢، مج١، الملحق١، بيروت،٢٠٠٧م، ص١٩١؛ الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح (ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، تح صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م،م ص٢٣؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص١٥؛ ابن الخطيب الغرناطي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت٧٧٦هـ)، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح حسن سيد كسروي، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١١؛ أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج١، ص١٨٥.

(٣) من الثوار بمدينة سرقسطة وذواتها ، إذ كان من نازلي سرقسطة فلما ولي بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الثغر نقله إلى قرطبة، ثم بعد ذلك خرج من قرطبة ودخل سرقسطة ، وتأهب الامام عبد الرحمن بن معاوية لغزوه، فوثب حسين بن يحيى على سليمان بن يقظان فقتله، وملك مدينة سرقسطة. ينظر: ابن الدلائي، ترصيع الاخبار، ص٢٥.

(٤) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ص٥٨.

كما عرف عنه أنه كان راجح العقل، فاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، وكان يحضر الجنائز، ويصلي عليها، ويصلي بالناس إذا كان حاضراً الجمع والاعياد، ويخطب على المنبر، ويعود المرضى، ويكثر مباشرة الناس، والمشي بينهم، وهذه الصفات الحميدة والخلال الجليلة جعلت منه شخصية قوية فذة[١].

اعتاد امراء بني امية في الاندلس على نقش عبارات على خواتمهم تدل على اعتمادهم على الله سبحانه وتعالى واعتصامهم به، وانهم راضون بقضائه وقدره ، فقد نقش عبد الرحمن الداخل على خاتمه ((عبد الرحمن بقضاء الله راض))[٢] ، و((بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم))[٣]، و ((وبالله يستعين عبد الرحمن وبه يعتصم))[٤].

ويبدو ان الاجراءات التي اتخذها الامير عبد الرحمن الداخل لصالح الرعية، جعلت شاعرهم عبد الملك بن عمر المرواني يقول مدحًا فيه:

ويزداد دهر السوء غشا وظُلمة　　　كأن على شمس الضحى دوننا سترا

الى ان بدا من آل مروان مقمر　　　أضاء لنا من بعد ظلمته الدهرا[٥]

اشتهر الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن عبد الحكم بن مروان بالنظر بالمظالم بنفسه، وإنصافه للضعيف من القوي، وانه كان يشرك اصحاب الحاجات ومن قصده بالجلوس الى مائدة طعام واحدة[٦]. وكان يقعد للعامة، ويسمع

---

(١) ابن الخطيب الغرناطي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد التلمساني (ت٧٧٦هـ)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ،(٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ)، ج٣، ص٣٥٦، الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٢٣٢؛ الدوري، ابراهيم ياس خضير، عبد الرحمن الداخل في الاندلس، سياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد، ١٩٨٢م، ص٣٢٢؛ العميد، طاهر مظفر، اثار المغرب والاندلس، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٦٧.

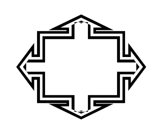
(٢) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٤٨؛ الدوري،المرجع نفسه، ص ٣٣١.

(٣) المقري ، نفح الطيب، ج٣، ص٥٤؛ ؛ الدوري،المرجع نفسه، ص ٣٣١.

(٤) مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس، ص١٦٠.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج١، ص٥٧؛ الدوري ، المرجع نفسه ، ص٣٣٢.

(٦) المقري، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٣؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، ط٧، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٢، ص ٢٣٣.



منهم، وينظر فيما يعترضهم ، فكان يصل اليه من اراده من الناس، فيتمكن المظلوم من رفع ظلامته اليه، من دون مشقةٍ(١).

عرضت على الامير الداخل شكاوي وظلامات اوردتها المصادر الاندلسية ، فمن المظالم التي ردها الداخل للعامة: ((انه حضر في يوم جنازة فتصدى له في مُنصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له: ((اصلح الله الامير، ان قاضيك ظلمني، وانا استجيرك، من الظلم ، فقال له: تُنصَف إن صَدقت ، فمد الرجل يده الى عنانه، وقال : ايها الامير : اسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بإنصافي فانه معك، فوجم الامير ، والتفت الى من حوله من حشمه فراهم قليلًا، ودعا القاضي وامر بإنصافه))(٢).

نستدل من هذا النص ان الداخل كان لا يتقيد في زمان محدد او مكان معلوم لقضاء الحوائج ورد المظالم للعامة.

كما نستخلص أنّهُ كان رحب الصدر مع العامة من اصحاب الظلامات، مع وجود حرية في إبداء الراي؛ لان الانسان المتظلم يَعدُّ النظر في الظلامة من مسؤوليات الامير وواجباته، فلم يخف او يتهيب من السطوة والعقاب.

كان الامير الداخل يقوم بمتابعة ومراجعة احوال رعيته والعمل على رد المظالم عن العامة وان لم ترفع له المظلمة من الشخص المتضرر نفسه، فيقوم بقضائها شخصيا لمجرد سماعه لها، كما حدث للشاعر أبي المخشي(٣) الذي ناله الاذى من جراء المنافسة التي كانت بين ابني الامير عبد الرحمن الداخل هشام واخيه الكبير سليمان

---

(١) المقري ، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣.

(٢) المقري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٧.

(٣) هو عاصم بن زيد بن يحيى التميمي العبادي دخل ابوه الاندلس من المشرق بقرية شوش، ونشأ إبنه عاصم على قول الشعر واشتهر به حتى وصف بانه شاعر الاندلس ومادح بني امية المخلف فيه غرر القوافي وجيد المديح ، ويعد من فحول الشعراء المتقدمين . ينظر: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥٩؛ الحميدي ، جذوة المقتبس، ص ٣٨٩؛ ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٩٥.

على ولاية العهد، فقد إختصَّ هذا الشاعر بمدح سليمان ، فحقد عليه هشام، لاتجاهه هذا، واغاضه شعر قاله مدحا لسليمان، والشعر هو:

وليس كمثلِ مَن إن سِيم عُرفا قَلِّــبُ مُقلـــةً فيها إعوِرارُ

وكان هشام احول العين، فاعتبر هذا الشعر تعريضا به فاستدعاه الى مدينة ماردة، وهشام يومئذٍ واليها في حياة ابيه الداخل، فقرر هشام الانتقام منه ،فقطع لسانه، وسمل عينيه، وسمع الامير الداخل بذلك، فساءه عمل هشام، وعنفه اشد تعنيف، واحسن الى ابي المخشي الشاعر، واغدق عليه الاموال وقربه اليه ليعوضه عن بعض ما فقده[١].

ومما يؤخذ على الامير الداخل في هذه المسالة انه لم يُحاسب هشاما، وكان عليه ان يقتص منه بمثل ما عمل بالشاعر المخشي ، ولهذه الحادثة مثيل في المشرق حينما لم يقد معاوية بن ابي سفيان(٤١-٦٠هـ /٦٦١-٦٨٠م) بني ضبة من واليه على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان الذي قطع يد رجل منهم، فرضوا بفدائه[٢].

ومن الجدير بالذكر اننا نجد مباشرة القضاة للمظالم ، وان كان الامير يتولى النظر في المظالم بنفسه، لكنهم القوا النفوذ بالمظالم بيد القضاة، بدليل ان حكمهم كان نافذا على الامراء والملوك[٣] ويدل على ذلك قول المقري الذي نقله عن ابن سعيد مؤرخ الاندلس ، إذ قال: ((وأما خطة القضاء بالأندلس فهي اعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين ، وكون السلطان لو توجه اليه حكم حضر بين يدي القاضي ، هذا وضعها في زمان بني امية ، ومن سلك مسلكهم))[٤].

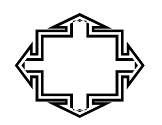
---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٥٩-٦٠؛ ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج٤، ص١٦٩؛ الدوري، عبد الرحمن الداخل ، ص ٣١٨.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٥، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ ابن كثير البداية والنهاية،ج٨، ص٧١؛ جاسم، عطا سلمان، ديوان المظالم ص٥٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة ،ص١٦٦؛ عبد المنعم ، حمدي ، ديوان المظالم، ص٢٠٦؛ حسن، رضا محمد ذياب، ولاية المظالم ومجالسها من فجر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطبعة الأمانة، مصر (١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م)، ص٢٢٢.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢١٧-٢١٨.



وقد تميز القضاة في هذا العصر بصفة الورع والتقوى والصلابة التي تصل احيانا الى تحدي الامير وحاشيته، ومن ذلك ما روي في قضية حبيب القُرَشِيّ، وذلك انه دخل على الامير عبد الرحمن بن معاوية ؛ فشكى اليه من القاضي عبد الرحمن بن طريف اليحصبيّ[1] وذكر له انه يريد أن يسجل عليه في ضيعة قِيمَ فيها عنده، وادعى عليه فيها الغصب والعداء ، فارسل الامير في القاضي وتكلم معه في ذلك وامره بالتثبت ونهاه عن العجلة ، فخرج ابن طريف من يومه، وعمل على انفادها الى حبيب وسجل واشهد ، فدخل حبيب على الامير ووصفه بالبغضة له، والاستخفاف به فغضب الامير غضبا شديدا وارسل الى القاضي ابن طريف وادخله على نفسه، ثم قال له:((من اقدمك ان تنفذ الحكم بعد ان امرتك بالتثبت والأناة به؟))، قال له القاضي : ايها الامير ما الذي يحملك على ان تتحامل لبعض رعيتك على بعض ، وانت تجد من ذلك وجها ان ترضي به من تعنى به من مالك ، فقال له الامير :فلعل الذين استحقوا الضيعة ان يبيعوها واشتريها لحبيب من مالي وارضيه في ثمنها، فقال له ابن طريف إذاً أُرسِل في القوم واخاطبهم في ذلك، فإن اجابوا الى البيع والا فان حكمي قد نفذ، فخرج القاضي فارسل في القوم وتكلم معهم في الضيعة فأجابوا الى البيع[2]، ونلاحظ ايضاً أن الامير الداخل قد رجع عن رأيه الاول في القضية بعد أن وجد لها وجهاً شرعياً في ارضاء الذين استحقوا الضيعة بالمال، من دون اللجوء الى القوة او المنصب من اجل الحصول على ما يريد، وكذلك مراعاته لحكم القاضي واصحاب الحق في تلك الضيعة.

سعى الامير الداخل الى متابعة مظالم الرعية من ولاتهم فقد روي أن هشامًا بن عبد الرحمن الداخل كان ذات يوم في قبة له مشرفة، فنظر منها الى رجل من كنانة كان

---

(١) من ساكني مدينة ماردة ، كان رجلًا صالحًا محمود السيرة، ولاه القضاء عبد الرحمن بن معاوية ، ينظر: الخشني ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد القيرواني(ت٣٦١هـ) قضاة قرطبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٣-٢٤؛ النباهي ،ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي(توفي في القرن الثامن الهجري)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح صلاح الدين الهواري، ط١،المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م) ، ص٥٩.

(٢) الخشني، المصدر نفسه، ص٢٣-٢٤؛ النباهي ، المرقبة العليا، ص٥٩-٦٠؛ مصطفى شاكر، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ط١، الكويت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٥٦٧.

يخدمه مقبلاً من اقليم جَيَّان[1]، وكان اخوه ابو ايوب سليمان بن عبد الرحمن يومئذ واليها، ولما راه وقد جدَّ في السير في الهاجرة دعا أحد فتيانه فقال له: ((اذا بلغ الكناني الى الباب فأوصله اليَّ فانِّي أظُنُّ انه قد اصابته مساءة من ابي ايوب)) ؛ فأوصله الفتى اليه ، ثم قال للكناني :ما الذي اتى بك؟ قال له: ((قَتلَ رجلٌ من بني كنانة رجلًا خطأً فحملت الدية على العاقلة- عصبته- فالتزمت بنو كنانة، وضيق عليَّ من بينهم؛ اذا علم ابو ايوب مكاني منك فعذت من مظلمتي بك))، فقال له هشام : ((حَسبُكَ))، ثم ركب من ساعته فاستأذن على ابيه، فقال: ((ما اتى بابي الوليد في هذا الوقت الا امر غمَّه))، فأذن له بالدخول ، فلما دخل وقف بين يدي ابيه فأمره بالجلوس، فقال((اصلح الله الامير لا اجلس، انه من كان قلقا مغموما لا يقعد))، قال: ((اقعد فاني مجيب لك فيما طلبته))، فجلس ثم قصَّ عليه خبر الكناني وخدمته له وعدوان أبي أيوب عليه، فامر الامير الداخل بالكتاب الى أبي أيوب بأداء الدية من بيت المال ، وان يكف عن الكناني وقومه، ويحمله وإياهم على البِرِّ والإكرام في جميع احوالهم، فانصرف هشام الى الكناني ، ودفع له الدية ودفع اليه الكتاب فقال له: ((يا سيدي قد بلغتُ فوق الامنية))[2] .

---

(١) تقع غرب الاندلس، شرقي قرطبة، وهي مدينة حصينة منيعة، وهي اخر قواعد بلاد الاندلس، وقد جمعت طيب الارض وسعتها، وعذوبة الماء، وكثرة الثمار والعيون. ينظر: ابن غالب، فرحة الانفس، ص١٥؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٦٨-٥٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٩١.

(٢) مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة ، ص١٢٤؛ ابن عذاري؛ البيان المغرب، ج٢،ص ٦٨؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس، ص ١٧٣-١٧٤؛ المقري ، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٥-٣٣٦؛الدوري ، عبد الرحمن الداخل، ص٣١٧.

ثانياً: النظر في المظالم في عهد الامير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)

عرف عن الامير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المكنى ابا الوليد والملقب بالرضي[١] انه كان حسن السيرة متحريا للعدل ،يعول المرضى ويشهد الجنائز[٢]، كثير الصدقة وربما كان يخرج بالليالي المظلمة، الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوي البيوتات من الضعفاء[٣].

مما يثير الانتباه أن الامير الرضي اتبع سياسة رشيدة مع الرعية قائمة على أُصول اسلامية، فكان عادلاً منصفاً حتى مع غير المسلمين، فكانت من اجراءاته انه جعل من اللغة العربية لغة التدريس في معاهد النصارى واليهود مما كان له الاثر العميق في التقريب بين اصحاب الديانات المختلفة وفي بث روح التفاهم والتسامح بينهم[٤].

فكانت سياسته وعدله قائمة على النظر في امور الرعية بخير ما نظر به ناظر، من الرفق والعدل، والتواضع، وقطع العشور، واخذ الزكوات، والاقتصاد في مأكله وملبسه[٥].

فضلاً عن ذلك إنه كان ((بسيط البنان، فصيح اللسان، وسيع الجناب، حاكماً بالسنة والكتاب وقبض الزكوات في طرقها، ووضعها في حقِّها، لم يأخذه في الله لومٌ ولا تعلق به ظلم))[٦].

ويروى أن زياد بن عبد الرحمن اللخمي فقيه الاندلس، وجدّ بني زيادٍ القرطبيين رحل إلى الشرق بعد عام من ولاية هشام، فلما صار في المدينة التقى مالك بن انس (رحمه

---

(١) ابن حزم، رسائل، مج١، ملحق ١، ص١٩٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٤؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص١٩.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس،ص ٢٤.

(٣) عبد الملك بن حبيب، التاريخ ، ص١٥٤؛ ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد الاندلسي(ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تح محمد سعيد العريان، القاهرة،١٩٤٠، ج٥،ص٢٥٢؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٤) عنان ، دولة الاسلام في الاندلس، ج١، ص٢٢٩؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٣٠٥.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٥.

(٦) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٦٥.

ﷺ)[١]، فسأله عن هشام، فاخبره عن مذهبه وحسن سيرته، فقال مالك ((ليت الله زين سمائنا بمثل هذا))[٢]، كانت ايام الامير هشام الرضي كما وصفها ابن الخطيب الغرناطي ((خير ايام عافية، وهدوء، وعده ابو محمد بن حزم ثالث ثلاثة من العدول في بني امية خاصة))[٣].

ومن الانجازات العمرانية التي قام بها الامير هشام الرضي تجديد قنطرة قرطبة بنفسه، وانفق فيها اموالاً عظيمة، وذكر له إن الناس يقولون: انما بناها لصيده وتنزهه، فحلف انه لا يجوز عليها يَعبُرُ إلا لغزو في سبيل الله او مصلحة[٤].

اتصف الامير هشام بمتابعة أوضاع الرعية، وعلاقة عماله معهم، فكان يبعث بقوم من ثقاته من اهل العدل إلى البلاد سراً يسألون الناس عن سير عمالهم ثم ينصرفون اليه بحقائق ما عندهم، فإذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع به واسقطه وانصف منه، ولم يستعمله بعد[٥] .

---

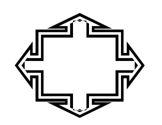
(١) ابن مالك بن ابي عامر، بن عمرو الصبحي يكنى (ابا عبد الله)، ولد في المدينة عام (٩٣هـ- ٧١٢م)، وهو احد الائمة الاعلام، واليه ينسب المذهب المالكي، توفي عام (١٧٩هـ- ٧٩٥م)، وله كثير من المؤلفات منها الموطأ، ينظر: ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ص٤٣٥-٤٣٦؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تح احمد الارناؤوط واخر، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت (١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م)، ج٢٥، ص١؛ ابن فرحون، برهان الدين بن ابراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ط١، مطبعة عباس عبد السلام بن شقرون، النحامين، مصر، ١٣٥١هـ، ص١٧؛ كاظم، ماهر صبري، دراسات في التاريخ الاندلسي، ط١، مؤسسة مصر- مرتضى للكتاب العراقي، دار مصر للطباعة (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، ص٧٨.

(٢) ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٦٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٧.

(٣) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ج٢، ص١٥؛ إبن حزم، رسائل، (نقط العروس في تواريخ الخلفاء)، مج١، ص٧٥.

(٤) ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٣؛ المقري، المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٨؛ شبانة ، محمد كمال، الاندلس دراسة تاريخية حضارية، ط١، دار العالم العربي، القاهرة ، (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، ص٥١.

(٥) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٦٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس،ص٦٦؛ المقري، المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٧؛ العبادي، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الاندلس، جمع مادته ونسقها احمد ابراهيم الشريف، ط١، ١٩٥٨م، ص٨٦-٨٧؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ج٢، ص٢٣٤؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس، بيروت، ١٩٦٢م، ص٢١٩.



فمن المظالم التي ردها الامير هشام بن عبد الرحمن مظلمة احد الافراد الذين كانوا ضحية ظلم وقع من احد رجال الدولة، فقد صاح به رجل متظلم بعامل من عماله؛ فبعث للعامل واحضر معه، وقال للمتظلم: ((احلف على كل ما ظلمك فيه فإن كان ضربك فاضربه، وإن كان هتك لك سترك فأهتك ستره، إلا ان يكون اصاب منك حداً من حدود الله تعالى))؛ فجعل الرجل لا يحلف على شيء إلا اقاده واقتصّ منه[١].

ومن الجدير بالذكر ان القاضي مصعب بن عمران ابى تولي القضاء في ايام خلافة الامير عبد الرحمن بن معاوية، فلما ولي ابنه الامير هشام المُلك اختار(مصعباً) للقضاء، واستحضره، وقال له : ((قد علمتُ انَّه انَّما منعك عن القبول من ابي – رحمه الله– الاخلاق التي كانت فيه. وقد عرفت اخلاقي وبلوتها، فاحمل عني هم القضاء))، فأباه واستعفاه؛ فغضب هشام، وعزم عليه عزماً شديدا [٢].

ويدل هذا الامر على ان الامير هشام كان حريصا على ترشيح القضاة منتخبا لها من اصحاب الكفاءة والنزاهة، ممن سيرتهم حافلة بالاستقامة والتقوى والعدل، وممَّن لا تأخذهم، في الله لومة لائم، ويسرى قضائه على الجميع.

وحين كان الامير هشام واليا من قبل ابيه الامير عبد الرحمن بن معاوية كان يسارع لكشف الظُلمِ عن العامة حتى وان كان هذا الظلم وقع من جانب اخيه أبي ايوب سليمان، كما حدث في قصة الكناني الذي جاء متظلما من اخيه سليمان ، فأخذه هشام وذهب الى ابيه الداخل واكرمه وكتب الى ابنه سليمان وامره بعدم التعرض له[٣].

وكان الامير هشام الرضي من اشد الناس قمعا للمتسلط من عماله، وخدمه فيروى انه: ((تعرض لموكبه رجل متظلم من بعض عماله، فحال لجب الموكب عن سماعه، وبُسِطَ له الانصافُ، ووعدَهُ اياه، ثم كُتِبَ الى العامل بأمره، ثم ذُهِبَ في استلطافه

(١) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٢٠-١٢١؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٦٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٧٣؛ عبد المنعم، حمدي، ديوان المظالم، ص٢٠٦.

(٢) الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٦-٦٧؛ النباهي، المصدر السابق، ص٦١.

(٣) ينظر الرواية مفصلة من هذا الفصل ، انظر ص ٣٨.

واستمالته حتى رضى ، فذُكر لهشام تعرض المشتكي وانصرافه عنه دون بلوغه اليه، فاعظم ذلك واكبره، فقيل له انه قد أُنصفَ وفعل به وفعل، فقال ان النصفة للمظلوم لا تكون من الظالم، دون تسليط الحق عليه، ... فكانت الزجرة لجميع عماله ابلغ من السوط والسيف))(١).

نقول ان سيرة الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل في اغلب المصادر التاريخية هي صورة الامير العادل الذي لا يفتا يهتم بتحقيق العدالة ، ويستعمل أي وسيلة من اجل نشر المساواة بين الرعية.

---

(١) مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة ، ص٢١٢.

ثالثاً: النظر في المظالم في عهد الامير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)

اتصف الامير الحكم بن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالربضي[١]، والمكنى بابي العاصي[٢] انه كان حسن السيرة في رعيته، متخيرا لحكامه وعماله، مؤمنا للسبل، واستقضى اول ولايته خير قضاة الاندلس واعدلهم[٣].

وعلى الرغم مما امتاز به الامير الحكم من ارتداء الهيبة ، وعزة النفس ، وغلظ السلطان الا انه كان منقادا للعدل متواضعا للحق[٤]، وتميز بانه كان شديد الحزم ، ماضي العزيمة، عظيم الصولة، حسن التدبير، وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه فضلا عن ولده وخدمه[٥].

وقد صفه ابن سعيد المغربي بانه((كان من افحل بني امية بالأندلس، واشدهم اقداما ونجدة ... وكان يشبه بابي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء))[٦].

اهتم الامير الحكم الربضي بشؤون الرعية واحتياجاتهم ، يدل على ذلك ان الاندلس في سنة سبع وتسعين ومائة من الهجرة تعرضت الى مجاعة شديدة ، ومات خلق كثير

---

(١) نسبة الى محلة في قرطبة كانت متصلة بقصر الأمير الحكم بن هشام، وقد قامت فيها الثورة ضده، فأوقع فيهم القتل، وهدم ديارهم ومساجدهم، فسمي بـ (الحكم الربضي) لذلك، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦؛ إبن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٤٤؛ إبن خلدون، العبر، مج٤، ص١٥٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٩.

(٢) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب،ج١، ص١٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٤؛ ابن الأبّار، المصدر نفسه، ج١، ص٤٣؛ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج٢، ص٦٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٧٤-١٧٥.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٧؛ نعنعي ، تاريخ الدولة الاموية ، ص ١٩٢.

(٤) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص١٧٨.

(٥) ابن عبد ربه الاندلسي ،العقد الفريد ، ج٥، ص ٢٥٢؛ ابن الخطيب الغرناطي ، اعمال الاعلام ،ج٢، ص١٥؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٧٨ ؛ نعنعي ، المرجع السابق ،ص١٨٣.

(٦) المغرب في حلي المغرب،ج١،ص١٣؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٧٨؛ المقري ، نفح الطيب ،ج١، ص٣٤٠؛ نعنعي ، المرجع نفسه ، ص٢٠٢.

في شرق الاندلس، وقد تصدق فيها الامير الحكم بأموال جليلة على الضعفاء والمساكين وعابري السبيل ، وكان يكثر من مواساة اهل الحاجات ، وفي ذلك يقول الشاعر عباس بن ناصح الجزيري[1] فيه:

نكِدَ الزمانُ فآمنت أيامــُـــه   من أن يكون بعَصرهِ عُسر

ظلع الزمان بازمة فجلى له   تلك الكريهـةَ جُودُه الغمـرُ[2]

وكان الامير الحكم يباشر امور مملكته بنفسه، ويتفقد مصالح الرعية حيثما كانت، وكان يشبه في اموره بعبد الملك بن مروان من خلفاء بني امية في المشرق (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥- ٧٠٥م)، والامير الحكم هو أول من رفع الاعشار للمخازن ، وكانت قبله تصرف في اعطاء الجند[3] .

كان للأمير الحكم عيون يطالعونه باحوال الناس، وكان يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين[4]، وكان اول من احدث خطة المظالم في الاندلس، وكان له يومان في الاسبوع يقعد للعامة فيهما بنفسه، وينظر في امورهم بإشرافه، ويرفع مظالمهم ويكفها بإنصافه، ويحضر مجلسه القضاة والفقهاء، وكان يقيم الصلوات، ويشهد الجنائز[5].

كان الامير الحكم لا يكتفي من الاخرين ادعاء التظلم ليرتب عليه اثراً، بل كان يتحقق من المظالم، ليستبين له سبيلها و وجهتها، وذلك من خلال ثقاته من المشهورين

---

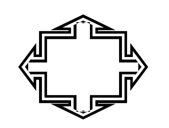
(١) ثقفي الولاء، من اهل الجزيرة، يكنى ابا العلاء ، رحل الى المشرق غير مرة، وكان كثير التردد على الامير الحكم بالمديح ، ويتعرض للخدمة ، فاستقضاه على شذونه ، والجزيرة ، وكان من اهل اللغة العربية وروادها ، وله حظ في الفقه والرواية، ينظر: ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج١، ص ٢٦٥-٢٦٦؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ،(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج١،ص٢٨.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس ، ص١٨٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤١.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٢،ص٤١؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٧٨ سالم، السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، بيروت، ١٩٧١م، ج١، ص٥٦.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، مج٤، ص١٥٣.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٨



بالصدق والعدل والعلم، فإذا تاكد له ان الشكوى او المظلمة لا تتعارض مع المنسوب إلى المشتكي عليه اقام عليه الحق والانصاف، وإلا اقره إلى ما هو عليه، فمما يروى عن ذلك تظلم اهل كورة (جيان) على قاضي تلك الكورة، فعهد الامير الحكم إلى قاضي الجماعة[١] في قرطبة[٢] سعيد بن محمد بن بشير المعافري[٣] ان ينظر ويستطلع حقيقة الامر من هذا القاضي، فإن ظهر بريئاً اقره على قضائه، وان ظهر عليه ما رفع إلى الامير فيه عزله عن الكورة، فنظر قاضي الجماعة في ذلك، فألفاه بريئاً، فقال له: انصرف إلى قضائك[٤].

والجدير بالذكر ان مصادرنا وفي حدود اطلاعنا لم تذكر لنا ان احداً من الامراء قبله قام بارسال القضاة للقيام بمهام تحقيقية للتأكد من صدق دعوى المظلمة.

ومن الروايات التي تبرز الجانب الاخلاقي للأمير الحكم ما روي عن تظلم وتشكي حسانة التميمية بنته ابي المخشي الشاعر أعشى تميم، وكان ابوها قد ادبها وعلمها الشعر؛ فلما مات ابوها كتبت إلى الأمير الحكم، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج:

إني إليك ابا العاصي موجعة ... ابا المخشي سقته الواكف الديم

قد كنت ارتع في نعماه عاكفة ... فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم

انت الامام الذي انقاد الانام له ... وملكته مقاليد النهى الأمم

لا إثم اخشى إذاما كنت لي كنفا ... آوي اليه ولا يعريني العدم

ما زلت بالعزة القعساء مرتديا ... حتى تذل إليك العرب والعجم

---

(١) كان قاضي العاصمة قرطبة يدعى(قاضي الجماعة)، او قاضي القضاة، وكان الخليفة يستشيره احياناً، في تعيين قضاة المدن الاخرى، او يكلفه بالتحقيق معهم، وكان مقر اقامته في قرطبة. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢١٧-٢١٨؛ الخشني، قضاة قرطبة، المقدمة العامة، ص(ز).

(٢) قاعدة الاندس، وام المدائن، وقرار الخلافة، ودار الملك، فضلا عن كونها مدينة عظيمة ليس لها في المغرب شبيه في سعة الرقعة. ينظر: ابن غالب، فرحة الانفس، ص٢٦؛ الادريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٧٤.

(٣) كان رجلا صالحا عاقلا استقضاه الامير عبد الرحمن بن الحكم بعد ابيه محمد بن بشير، توفي سنة (٢١٠هـ)، ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج١، ص١٥٥.

(٤) الخشني، المصدر السابق، ص٤.

فلما وقف الامير الحكم على شعرها استحسنه؛ فامر بإجراء مرتب أبيها إليها، وكتب إلى عامله بالبَيْرَةِ[١] فجهزها بجهاز حسن[٢].

فالأمير الحكم يظهر بمظهر الراعي لرعيته الذي يشعر بمسؤوليته تجاههم، حين يقصدونه ويطلبون منه المساعدة.

ولعل اشهر القضاة في عهد الامير الحكم الربضي هو القاضي محمد بن بشير المعافري[٣] الذي عرف بالعدل والانصاف ،وعمل على ازالة الظلم الواقع على الرعية، وكان لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وفي عهده تظلم الوزير ابن فطيس[٤] من هذا القاضي في قضية حكم بها عليه ولم يعرفه من هؤلاء الشهود . الى الامير الحكم، فأوصى الامير الى القاضي ابن بشير: إنّ ابن فُطَيس ذكر انك حكمت عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم، وان اهل العلم يقولون : ان ذلك له ، فكتب اليه ابن بشير : ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه، لأنه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن طلب اذاهم في انفسهم واموالهم فيَدَعون الشهادة هم ومن ائتسى بهم، وتضيع أموال الناس[٥].

---

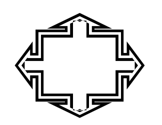
(١) هي بليدة قريبة من ساحل البحر بالاندلس، ولها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية والمريَّة، وهي غزيرة الانهار، كثيرة الثمار، وهي تقع بين شرق وغرب من قرطبة. ينظر: ابن غالب، فرحة الانفس، ص١٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٦؛ مؤلف مجهول تاريخ الاندلس، ص١٢٤.

(٢) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٨٠؛ المقري، نفح الطيب،ج٤، ص١٦٧.

(٣) اصله من جند باجة من عرب مصر ، وكان ممن لقي مالك بن انس عند توجهه الى الحج ، فلما عاد الى الاندلس استقضاه الحكم بن هشام ، وقبل قضاءه بشروط ، كان ماضي العزيمة ، مؤثرا للصدق ، صلبا في الحق ، لا مداهنة عنده في احكام السلطان ، ولا يعبأ على جميع اهل الخدمة ، ولا على من لاذ بالخليفة، من جميع الطبقات ، ولم يزل متوليا خطة القضاء الى ان توفي سنة (١٩٨هـ)، ينظر: الخشني ،قضاة قرطبة ،ص٢٨-٢٩؛ الضبي ، بغية الملتمس، ص٦٢؛ النباهي، المرقبة العليا، ص ٦٣ ،٦٦.

(٤) ابن سليمان بن عبد الملك بن زيان ،دخل الاندلس في ايام الامير عبد الرحمن بن معاوية ، فضمه الى ابنه هشام وكتب له حتى اذا ولي الخلافة ، ولاه السوق، وكورة قبرة، والوزارة ،وامضاه الحكم بن هشام على ذلك بعد وفاة ابيه هشام ، واستكتبه ايضا ، توفي في اخريات الامير الحكم، ينظر: ابن الأبّار، الحلة السيراء،ج١،ص٣٦٥؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس، ص١٧٦.

(٥) الخشني ، المصدر السابق، ص٣٠؛ الضبي، المصدر السابق، ص٦٣؛المقري ، نفح الطيب، ج٢، ص١٤٥.



اشار النص السابق الى عدالة وصلابة القاضي محمد بشير، وكذلك تحريه عن الحق وارجاعه الى اهله، وهو يشير الى قوة السلطة القضائية وما تتمتع به من صلاحيات تمكنه من الوقوف امام الامير وحاشيته ووزراءه، كما يدل على مباشرة القضاة للمظالم.

وأشارت كتب التاريخ الى بعض القضاة الذين عرفوا بعدلهم وردهم لظلامات الناس منهم قاضي الجماعة سعد بن محمد بن بشير(ت٢١٠هـ) ،اذ تظلم عنده رجل من كورة جيان في ان عاملا للأمير الحكم اغتصب جارية له وعمل في تصييرها الى الامير الحكم فوقعت من قلبه كل موقع، واثبت الرجل امره عند القاضي، واتاه الشهود يشهدون على معرفة ما تظلم منه وعلى عين الجاريــة ومعرفتهم بها، فذهب القاضي ابن بشير الى الامير الحكم وتكلم معه في ارجاع تلك الجارية الى صاحبها ، ولكن الامير الحكم خيره في ابرازها اليه او عزله عن القضاء، ثم استدرك قائلا: ألا أدعوكَ الى خير من ذلك؟ تبتاع الجارية من صاحبها بعين ثمنها وابلغ ما يساله فيها، فقال له القاضي:((إنَّ الشهود قد شَخَصُوا من كورة جيان يطلبون الحق في مظلمة، فلما صاروا ببابك تصرفهم دون إنفاذ الحق لأهله، ولعل قائلًا ان يقول: باع مَن لا يملك بيع قسير على نفسه))، فلما رأى الامير عزمه وصلابة موقفه، امر بإخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينها ، وقضى بها الى صاحبها[١] .

يمكن الاستدلال من ذلك ان القاضي كان كثير الإلحاح في سبيل تحقيق العدالة، واحقاق الحق ورفع الظلم عن الرعية ، وان كان جزاء هذه الاعمال التهديد بالعزل، او غير ذلك من الامور.

---

(١) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة ، ص ١٢٤-١٢٦؛ ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٣؛ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب، ج٢،ص٧٨.

ومن القضاة الذين كانوا يرفعون الظلم عن الرعية في عهد الامير الحكم الربضي الفرج بن كنانة (ت٢١٣هـ)[١]، فقد حُكِي ان بعض اصحاب الامير الحكم الذين ارسلهم على الناس، قد تعلقوا بجار القاضي الفرج بن كِنانة اتهموه بالحركة بالهَيج، وتسوَّروا عليه، فصاح نساؤُهُ فسمع القاضي الصراخ؛ فقال: ما هذا؟ فقيل: جارك فلان! تعلق به الحرس؛ فأخرجوه ليقتل ! فبادر الخروج، وكفَّ القوم عن جاره، وقال لهم: إنَّ جاري هذا بريءُ الساحة، سليم الناحية، وليس فيه شيء مما تظنون، فقال له رئيس الحرس المرسل معهم : ليس هذا من شئنك، فعليك بالنظر في احباسك وحكومتك! ودع ما لا يعنيك، فغضب الفرج عند ذاك، وذهب الى الامير الحكم؛ فاستأذن عليه، فلما دخل ، قال له بعد السلام : أيها الامير إن قريشا حاربت رسول الله (r) وناصبته العداوة في الله تعالى ، ثم انه صفح عنهم، لما أظفره الله تعالى بهم، واحسن اليهم، وأنت أحقُّ الناس بالاقتداء به، لقرابتك منه، ومكانتك من خلافته في عباد الله، ثم حكى له قصة جاره، وما عرض له في الدفاع عنه، فأمر بتخلية سبيله والافراج عنه، وبعقاب الناظر الذي عارض القاضي، وعفى عند ذلك عن بقية اهل قرطبة، وبسط الأمان بجماعتهم، وردَّهم إلى اوطانهم[٢].

ومن الاحداث الاخرى التي تدل على المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها القاضي الناظر في المظالم، وما اعطي من صلاحيات كبيرة مكنته من الفصل في الظلامات التي تقع على اطفال الاندلس، واعطاء كل ذي حق حقه ، فقد رُوي أنَّ العباس بن عبد الله المرواني أحد قواد الامير الحكم غصب ضيعة من رجل بـ (جيان)، فلما توفي الرجل ترك اطفالًا لم يبلغوا، فلما بلغوا وانتهى الى مسامعهم عدل القاضي مصعب بن عمران الهمداني، قدموا إلى قرطبة، أنهوا إليهم مظلمتهم واثبتوها عنده، فبعث القاضي في

---

(١) ابن نزار بن غسان بن مالك الكناني ،كان مسكنه في شذونة ، وكان من اهل العلم والتقييد ، تولى قضاة الجماعة في الاندلس في ايام الامير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن قبل المئتين، ينظر: الخشني ، قضاة قرطبة ،ص٤٠؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص٣٠٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس ،ص٣٢١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٤٤-٤٤٥.

(٢) الخشني، قضاة قرطبة، ص٤٠-٤١؛ النباهي، المرقبة العليا، ٦٨.

العباس بن عبد الله، واعلمه ما ذكره القوم، وعرفه بالشهود عليه، واباح له المدافع، وضرب له اجلاً بعد اجل، فلما انصرمت الآجال، ولم يأت بشيءٍ أعلَمهُ أنَّهُ سينفذ الحكم عليه، ففزع العباس إلى الامير الحكم، وسأله ان يوصي إلى القاضي التخلي عن النظر في قصته، ليكون هو الناظر فيها، فأوصل اليه الامير ذلك مع خليفة له من اكابر فتيانه، فلما ادى الوصية اليه، قال مصعب : إن القوم قد اثبتوا حقهم، ولزمهم في ذلك عناء طويل، ونصب شديد، لبعد مكانهم، وضعف حالتهم، وفي هذا على الامير ما فيه! فلست اتخلى عن النظر وانفاذ الحكم لوجهه، فليفعل الامير بعده ما يراه صواباً من رأيه، فرجع الرسول إلى الامير بجوابه، فسكت الامير على غيظ وجعل العباس يغريه بالقاضي، ويقول: ((قد أعلمتُ الاميرَ بِشِدَّة استخفافهِ وغلطه في نفسه، وتقديره إن الحُكمَ له، ولا حُكمَ للأمير عليه))، فأعاد الارسال اليه الامير بعزمه منه، يقول: لابدَّ لك من ان تكفَّ عن النظر في القضية، لأكون انا الناظر فيها، فلما جاءَهُ بعزمته، أمرهُ بالقعود، ثم اخذ قرطاساً، فسواه، وعقد فيه حكمه للقوم بالضيعة، ثم انفذه لوقته بالإشهاد عليه، ثم قال للرسول: ((اذهب إلى الامير فاعلمه إني قد انفذت ما لزمني انفاذه من الحق))[١].

ومما يروى عن متابعة الامير الحكم لأمور رعيته، وانصاف من تضرر منهم، فقد تظلم جنود مدينة اشبونة[٢] من العامل الذي كان مسؤولاً عن مخزن القمح المخصص للجنود وهو يحيى الغزال[٣]. إذ قام بتفريق هذا القمح المخزون للناس بسبب المجاعة

---

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٥-٢٦؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٦١-٦٢.

(٢) مدينة عظيمة، كثيرة القطر، وهي بريّة البحر. وبها أرزاق كثيرة وخيرات واسعة، ذات مزارع وأشجار ملتفة، فيها ضروب الصيد في البر والبحر. وهي إحدى قواعد الأندلس، وتقع على البحر الأعظم المحيط، وعلى آخر النهر المعروف بنهر تاجة. ينظر: الزهري، الجغرافية، ص٨٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٧-٥٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥.

(٣) يحيى بن حكم المعروف بالغزال، رئيس، كثير القول، مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل، وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند امراء بلده، ولد في امارة عبد الرحمن بن معاوية، وعاش باقي امارته، وإمارة هشام وامارة الحكم، وامارة عبد الرحمن ومات في امارة الامير محمد سنة خمسين ومائتين، وهو ابن اربع وتسعون سنة. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٦٢-٣٦٤؛ الضبي بغية الملتمس، ص٥٠٠-٥٠١؛ ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص٤٧-٤٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٥٤-٢٦٢.

التي حدثت في ذلك الوقت، فقرر الامير الحكم بإصدار قرار بعزل يحيى الغزال عن وظيفته[1].

يمكن ان نستنتج مما ذكر ان الامير الحكم كان يعاقب عماله بالعزل إن هم قصروا في اداء واجباتهم، او وجهت ضدهم شكوى او تظلم، او ادينوا بعمل ما.

---

(١) ابن دحية ، ابو الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ)، المطرب في اشعار اهل المغرب ، تح إبراهيم الابياري، واخر، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٣٦؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٩٣؛ احمد، عبد العزيز، قضية السجن والحرية في الشعر الاندلسي، مكتبة الانجلو المصرية، ص١٦٠-١٦١؛ بهجت، منجد مصطفى، الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل (د.ت)، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ص٧٠.

رابعاً: النظر في المظالم في عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)

كان الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المكنى ابا المطرف ،والملقب بالأوسط[١] محمود السيرة[٢] وكتب له بعض مواليه يسألهُ أن يوليه عملا رفيعا لم يكن من مشاكلته، فوقع له في اسفل كتابه ((من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به))[٣].

وامتاز ايضا بأنّهُ في سعةٍ من العلم والحلم، وقلة القبول للبغي والسعايات وهو الذي استكمل فخامة الملك في الاندلس[٤]، وكان عادلا جوادا يقيم للناس الصلوات، ويهتم بالجهاد[٥]، واتصف ايضا ببلاغته وفصاحته وفقاهته وحفظه للقرآن وروايته للحديث[٦]، فكان ((من اهل التلاوة للقرآن والاستظهار للحديث))[٧].

اتسم الامير عبد الرحمن بن الحكم بانه كان حسن العشرة، يحبه الناس، ويجدون المتعة معه بالجلوس والحديث، فكان محبًا للتقرب من الرعية، ميالًا الى الراحة والدعة ولكن بغير إهمالٍ لشؤون رعيته. وإتصف ايضا بالهدوء ولين الطبع والوفاء فكان الناس معه في ارغد عيش، واحسن حال[٨].

---

(١) الحميدي ، جذوة المقتبس ،ص٢٤؛ ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب، ج٢،ص١١٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٨٤؛ فليب حتي، تاريخ العرب ، ط٢، بيروت ١٩٥٣م، ج٣،ص٦١١؛ عبد البديع، لطفي، الاسلام في اسبانيا، ط١، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٦؛ السامرائي، خليل واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ط٢، بغداد ، ٢٠٠٥،ص١٠٣.

(٢) الحميدي، المصدر نفسه ، ص٢٤؛ الضبي، بغية الملتمس ، ص١٤؛ ابن العماد الحنبلي، ، ابو الفلاح عبد الحي(ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، ١٣٥٠هـ ،ج٢، ص٩٠.

(٣) ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٦؛مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٤) ابن الأبّار، الحلة السيراء، ج١، ص١١٣.

(٥) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق،ج٢، ص٩٠.

(٦) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة ،ص١٣٥.

(٧) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٨.

(٨) مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص١٨٥؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص٢٨٠؛ مكي، محمود علي ، تاريخ الاندلس السياسي ، بحث ضمن كتاب((الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ،

فضلا عن ذلك انه ترك للذميين حرية ممارسة شعائرهم وتجارتهم والحقّ في بناء الكنائس ودق النواقيس الكبرى، وشغل عددٌمنهم مناصب كبار القادة في الجيش الاندلسي(١)، لذلك كانت ايامه على طولها ايام سكون وامن وعافية وطمأنينة واستقامة من الرعية، ما خرج عليه فيها خارج، ولا قام عليه قائم فكانت ايامه اطيب الايام وأسرها، كادت ان تكون كلها اعياداً لخصبها وكثرة خيراتها ودعتها وامنها وسرورها، فكان يقال لأيامه ايام العروس، وكانت كلمة اهل الاندلس طوال ايامه مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، وأيديهم متواصلة(٢)، وقد كثرت الاموال في عهده(٣).

لقد سار الامير عبد الرحمن بن الحكم في رعيته خير سيرة ، وإلتزمَ إكرامَ أهلَ العلم، وأهلَ الادب والشعر، واسعافهم في مطالبهم كلها، فعاش الجميع بخير(٤)، وقد اشاد النويري بعطفه وحبه للناس، وانصافه في الرعية(٥)، وفي ايامه قويت الجبايات في الاندلس وزاد مال الخراج، وشيد القصور، وبنى المدن والمصانع(٦).

بعد وفاة الامير الحكم الربضي قام الامير عبد الرحمن الاوسط بإصلاحات سياسية واقتصادية ودينية فاخرج الاموال والكسوات وفرقها في الناس، وسرح السجون ورد المظالم، واخرج خمسة الاف دينار من صلب ماله ففرقها في اهل الحاجة والفاقة من اهل قرطبة، وامر بقتل القومس الرومي مشرف ابيه، وامر بتغيير المنكر، وامر بهدم الدور التي كان يباع فيها الخمر، وهدم ديار الفساد وضرب اهل الفساد وطردهم من

اعداد مركز دراسات الوحدة العربية ، اشراف: سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت ، ١٩٩٩م، ص٧٥-٧٦.

(١) الصوفي ، خالد، تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة، منشورات الجامعة الليبية ـ كلية الآداب، (د.م)، (د.ت)، ص٣٥.

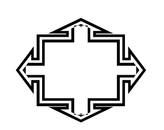
(٢) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب ، ج١، ص١٨ ؛ ابن خلدون، العبر ، ج٤ ، ص١٥٧؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس ، ص١٨٥؛ المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص٣٤٨؛ سالم، السيدعبد العزيز ، تاريخ المسلمين ، ص٢٢١.

(٣) ابن سعيد المغربي ، المصدر نفسه، ج١، ص١٨؛ المقري ، المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٤٨.

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٨٠.

(٥) نهاية الأرب ، ج٢٢، ص٥٧.

(٦) مؤلف مجهول، تاريخ الندلس ، ص١٨٦.



قرطبة، فاحبه الخاصة والعامة، واخذ على نفسه الاقتصاد والتواضع ، والاخذ في العفو بكل الامور الا في إقامة حدود الله تعالى[١].

من المظالم التي نظر فيها عبد الرحمن الاوسط هي مظلمة حسانة التميمية فقد وفدت عليه مشتكية من جابر بن لبيد والي البيرة، وكان الأمير الحكم قد وقَّعَ لها بخط يده بتحرير املاكها، وحملها على البر والاكرام ، فتوسلت الى جابر بخط الحكم فلم يفدها ذلك، فدخلت الى الإمام عبد الرحمن وانشدته مرتجلة هذه الابيات:

الى ذي الندى والمجد ســـارت ... على شحط تصلى بنار الهواجـــــر

ليجبر صدعي انه خير جابـــر ... ويمنعني من ذي الظلامـــة جابـــر

فاني وايتامي بقبضة كفـــــه ... كذي ريش اضحى في مخالب كاســـر

جدير لمثلي ان تقول مروعـــة ... لموت ابي العاص الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حيا لما اعـ ... تدى علـــي زمان باطش بطش قادر

أيمحو الذي خطته يمناه جابـر ... لقد سام هذا الملك إحدى الكبائر

فلما تمت انشادها دفعت اليه خط والده الحكم بتحرير املاكها، وحملها على المراعاة والمحاباة، وقصت عليه جميع امرها مع جابر وامتناعه عليها؛ فرَقَّ لها واخذ خط ابيه فقبله، ووضعه على عينيه، وقال: لقد تعدى ابن لبيد طوره وسَفِه رأيه، كيف ينقض أمر الإمام الحكم، وحسبنا ان نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك، ووقع لها بمثل توقيع ابيه الحكم، فقبلت يده، وامر لها بجائزة فانصرفت[٢] وبعثت اليه بقصيدة من البيرة منها:

ابن الهشامين خير الناس مأثـــرةً ... وخيـــر منتجـــع يومًا لروَّادِ

جوّدت طبعي ولم ترضَ الظلامة لي ... فهاك فضــل ثناءٍ رائح غـــاد

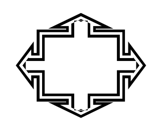
فان اقمتُ ففي نعمـــاك عاطفـــة ... وان رحلتُ فقد زودتني زادي[٣]

---

(١) ابن القوطية، تاريح افتتاح الاندلس، ص٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٨٥.

(٢) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، ص١٨٨؛ المقري ، نفح الطيب، ج٤، ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) مؤلف مجهول ،المصدر نفسه، ص١٨٨-١٨٩؛ المقري ، المصدر نفسه ، ج٤، ص١٦٨.



ولى الامير عبد الرحمن الاوسط معاذ بن عثمان الشعباني(ت ٢٣٤هـ)[1] قضاء الجماعة، و يذكر انه اتاه يوما رجل متظلم من الحاجب ابن رستم[2]، ويقول: انه اغتصب مالا له، فقال له: خُذ طابعًا وامضِ به نحوه، فتصدَّ له، وقل له: هذا طابع القاضي، فاذا هو راكب، فاجذبه بكل قوة عندك ، فاضرب بيدك على عنانه ولا تفارقه حتى يصير الينا، واياك ان تتذلل له فانَّهُ اهيب لك، فاخذ الرجل الطابع ومضى به الى الحاجب، فاتوا القاضي فاعلموه ، فاخذ للرجل بحِقه[3].

ويبدو من هذا النص ان القاضي أعلى سلطةً من الحاجب الذي لم يجد بدا من الانصياع لأمر القاضي وارجاع الحَقِّ المغصوب الى صاحبه.

ومما وصل الينا أنَّ الامير عبد الرحمن بن الحكم ولى عيسى بن شهيد[4](ت٢٤٣هـ) النظر في المظالم وتنفيذ الاحكام على طبقات اهل المملكة[5].

ويبدو لنا أن السبب في قلة المظالم التي ذكرتها مصادر التاريخ الاندلسي لعهد الامير عبد الرحمن الاوسط يعود الى ما قام به من اصلاحات واسعة شملت اغلب مرافق الدولة ، وما قام به من رد المظالم عن اهلها ، وسياسة العفو في الامور الا في حدود الله سبحانه وتعالى ولذلك شُبِهَت ايامه بأيام العروس وكانت رعيته طوال ايامه كلمتهم مجتمعة ، وقلوبهم مؤتلفة ، وايديهم متواصلة.

---

(١) من اهل جيان، كان قاضيا بقرطبة سبعة اشهر ثم عزله، وقد كان حسن السيرة ،لين العريكة ، وكانت معه صحة ضمير، وسلامة قلب ، ينظر: الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٥٥-٥٦؛ ابن حيان القرطبي(ت ٤٦٩هـ) ، المقتبس من انباء اهل الاندلس ، طبعة دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٧٣، ص٧٠-٧١؛ النباهي، المرقبة العليا ، ص٧٠.

(٢) عبد الرحمن بن رستم من الحجاب في عهد عبد الرحمن الاوسط، ينظر: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ص٨٤؛ إبن حيان القرطبي ، المصدر السابق، ص٢٥، ٢٧-٢٨.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

(٤) تولى الحجابة معظم ايام عبد الرحمن الاوسط ، وكان مقتدرا ومصلحا واسلم خُلقا، اذ لم يقبل المكافأة على قضاء الحاجة، وكان مؤملا لدى الامير عبد الرحمن، ولاه خطة الخيل ،ثم استوزره ثم النظر في المظالم ، وكان له في التدبير آراء صائبة ، وفي الحروب مقاوم كريم، وتهيأت له على العدو وقائع مثخنة ، ينظر: ابن القوطية ، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٨٤؛ ابن حيان، المقتبس، ص،٢٦-٢٧.

(٥) ابن حيان القرطبي ، المصدر نفسه، ص٢٦.

خامسا: النظر في المظالم في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)

الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المكنى بابي عبدالله[١] وابي المنذر[٢].

كان الامير محمد مستكملا لكل خير، جامعا للفضائل، محبا للعلوم، مؤثرا لاصحاب الحديث، عارفا بمصالح دنياه وأُخراه، حسن السيرة[٣].

قال الفقيه بقي بن مخلد[٤]((ما رأيت من الملوك اكمل عقلا ولا ابلغ لفظا من الامير محمد بن عبد الرحمن))[٥].

اشاد بمناقبه ابن عذارى المراكشي ذاكرا خصاله الحميدة وفضائله قائلًا: ((كان الامير محمد فصيحا بليغا، عظيم الأناة ،متنزها عن القبيح ، يؤثر الحق وأهله، لا يسمع من ساع، ولا يلتفت الى قول رافع، وكان عاقلا، على اخلاق حميدة، ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، يرى كل من خدمة وباشره

---

(١) ابن حزم الاندلسي ، رسائل، مج١، ملحق١،ص١٩٢؛الحميدي ، جذوة المقتبس، ص٢٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥.

(٢) مؤلف مجهول ، تاريخ الاندلس ،ص١٩١.

(٣) ابن حزم الاندلسي، رسائل، مج١، ملحق١، ص١٩٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥؛ ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص٢٣؛ الضبي، المصدر نفسه، ص١٥: مؤلف مجهول ، المصدر نفسه، ص١٩١.

(٤) ابو عبد الرحمن من حفاظ الحديث ، وائمة الدين ، والزهاد الصالحين، ، رحل الى المشرق فروى عن الائمة واعلام السنة منهم الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، وغيرهم، وكتب المصنفات الكبار ، ورجع الى الاندلس فملأها علمًا جمًا ، والف كتبًا حسانًا ،ومن مصنفاته (تفسير القرآن)، توفي سنة ستٍّ وسبعين ومائتين للهجرة، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس،ج١، ص٩٤-٩٥؛ الحميدي ، جذوة المقتبس، ص١٧٦-١٧٧؛ ابن بشكوال، الصلة ج١، ص١٠٨-١٠٩.

(٥) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه، ص١٩١.

ان لهم الفضل المستبين في ادراكه، وفهمه ودقة ذهنه، ولطف فطنته، وجزالة رأيه))[(١)].

وكان الامير محمد كما وصفه إبن الخطيب الغرناطي((أوحدَ قومه في البلاغة والرجاحة، متنزها عن الخنا والقبيح من القول، والقبول على السعادات))[(٢)].

ذهب احد الباحثين الى القول: ((إن الامير محمد بن عبد الرحمن على الرغم من ذكائه وتفهمه للأمور الا ان الثورات والمشاكل التي صادفها خلال فترة عهـــده شغلته طوال مدة حكمه))[(٣)].

كان الامير محمد بن عبد الرحمن من اهل الاناة وقِلَّة العجلة و التنزه عن العقوبة، مكرما لأعلام الناس من اهل العلم والموالي والاجناد، مُتخيرًا لعماله ،كما كان يتولى محاسبة اهل خدمته ويتعقب امورهم بنفسه لنفوذه في الحساب وصحة قريحته[(٤)].

مما ذكر عن رده للمظالم وانصافه لرعيته مظلمة العامل في دار الامانة الذي هجم عليه احداث من بني السليم الساكنين في شذونة وكان قد اخذ فيهم الشراب مأخذه ، فاخذوا قطيعًا من الجباية، ولما وصل الخبر شيوخهم، قصدوهم وانتزعوا المال منهم وارجعوه الى العامل، ولما سمع الامير محمد بن عبد الرحمن بالخبر ، وجَّه اليهم من اتى بهم، فصاروا في سجنه نحو العشرين سنة[(٥)].

نستخلص من هذه الحكاية ان الامير محمدًا بن عبد الرحمن كان لا تأخذه رافةٌ ولا رحمةٌ فيمن يتجاوز على ممتلكات الدولة حتى ينال العقاب الذي يستحقه، ليكون عبرة لغيره، ولكي لا يتكرر مثل هذا التجاوز على عمال الدولة.

---

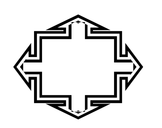
(١) البيان المغرب،ج٢، ١٠٧؛ ابن الخطيب الغرناطي ، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٣؛ نعنعي، تاريخ الدولة الاموية ،ص٢٥٨.

(٢) إبن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه،ج٢،ص٢٣.

(٣) الصوفي ، تاريخ العرب في الأندلس، ص٣٥.

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ،ص٩٢؛مؤلف مجهول، اخبار مجموعة ، ص١٤١.

(٥) ابن القوطية المصدر السابق، ص١١٥-١١٦.



ومن القضاة الذين عرفوا بالعدل والانصاف وردّ المظالم في عهد الامير محمد بن عبـد الرحمــن قاضي الجماعة سليـــمان بن اســـود الغافقي(١) فيذكر أنه جاءه رجلاً متظلماً في فرن بناه صاحبه فأضر الدخان به و بالجيران، فاستطاع القاضي ان يعالج هذه المظلمة بطريقة افادته بها ما بلغه عن أفران المشرق وذلك بأن يجعل انبوباً في أعلى الفرن، فيخرج الدخان من أعلاه فلا يضر ذلك بمن جاوره(٢).

ومن المظالم التي ردها ايضاً قاضي الجماعة سليمان بن اسود مظلمة رجلٍ من صاحب المدينة(٣)، فأمر القاضي أحد أعوانه قائلاً له: تغدو فتكون في طريق صاحب المدينة عند موضع جلوس الخزان، فإذا أقبل للنزول فخذ بعنانه، وتامره باسمي ان يرتفع إليَّ فانه تظلم منه رجلٌ عندي، فإن جاء طوعاً و إلا فاحمل العصا على دابته حتى تردها إلي كرهاً، وذهب العامل في طريق صاحب المدينة حتى اتى ومعه حمل من الناس قد ركبوا معه فأخذ الرسول بعنانه، فكاد صاحب المدينة أن يأمر بزجره، فقال له الرسول: القاضي أرسلني فيك بسبب رجل تظلم عنده منك، فاته إن شئت طوعاً، وان شئت كرهاً، فقال صاحب المدينة: بل طوعاً، فانصرف حتى أتى القاضي ونزل عليه، ونظر اليه فيما بينه وبين الرجل المدعي عليه بالحق فقضى القاضي بينهما ثم انصرفا(٤).والنص السابق يوضح لنا صلاحيات القاضي على صاحب المدينة.

---

(١) ابن يعيش ابن جشبيد من مدينة غافق، ولاه الامير محمد بن عبد الرحمن قضاء الجماعة في قرطبة، وكان قد ولي كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة في قرطبة، وكان رجلاً صالحاً، صَلْباً في حكمه، مَهيباً، عاش (٩٩) عاماً، وعشرة اشهر، وكانت مدة قضائهِ منها(٣٢) عاماً، ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص٧٣؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج١، ص١٧٤؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٧١-٧٤.

(٢) الخشني، المصدر نفسه، ص٧١-٧٤.

(٣) ذكر ابن خلدون ان صاحب الشرطة في دولة اهل الاندلس يسمى بصاحب المدينة، في حين ذهب الباحث محمد ابن عبد الوهاب خلاف إلى إن صاحب المدينة غير صاحب الشرطة، فصاحب المدينة عنده يراس صاحب الشرطةجهازه التنفيذي، وصاحب المدينة هو الذي يستخدم سلطة جهاز الشرطة في التحقيقات المدنية. ينظر: المقدمة، ص١٨٧؛ خلاف، عبد الوهاب، صاحب الشرطة في الأندلس، مجلة أوراق، مجلة ثقافية يصدرها المعهد الإسباني العربي للثقافة، رقم ٣، مدريد، ١٩٨٠م، ص٧٢.

(٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص٧٧.

ومن المظالم التي رفعها القاضي سليمان بن اسود عن الرعية والتي تدل على صلابته، وقوفه في وجه الامير محمد والي ماردة في عهد ابيه عبد الرحمن، فقد تطاول بعض اعوان الامير محمد فانتزعوا من رجل ابنته، وكان القاضي سليمان بن اسود حينئذٍ قاضياً في ماردة، فلجأ الرجل المظلوم إلى القاضي سليمان فإستغاث به لرفع هذه الظلامة عنه، فكتب القاضي إلى الامير محمد يعلمه بالقصة، فأبطأ الامير عليه بالجواب بما احب منه من الانصاف، فركب القاضي دابته ووقف على باب القصر في ماردة، وكتب إلى الامير محمد: هذه طريقي إلى ابيك إن لم تُغيِّر على اعوانك ما صنعوا، فاستجاب الامير محمد إلى القاضي وانصف الرجل من اعوانه(١).

وهذا النص يدل على ان النفوذ في المظالم كان بيد القضاة، وكان الامير هو الراعي لهذه الصلاحيات المعطاة إلى القضاء.

ومن القضاة الذين عرفوا بعدالتهم وشدة تمسكهم بانصاف المظلوم من الظالم القاضي ابو عبد الله عمرو بن عبد الله بن لبيب القبعة(٢) (ت٢٧٣هـ)، فقد جاءه رجل ضعيف، فشكا له بعض عمال الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر ، مرشحا في وقته لمنصب صاحب المدينة، ثم صار بأثر ذلك واليا عليها، فقال له: يا قاضي المسلمين ان فلانا غصبني دارا ،فقال له عمرو بن عبد الله القاضي : خذ فيه طابعا ، فقال له الرجل: مثلي يسير بطابع الى مثله، لستُ امنه على نفسي، فقال له القاضي: خذ فيه طابعاً كما آمُرُكَ.

فاخذ الرجل طابعه ثم توجه اليه به، ثم رجع الرجل وجلس. ثم اقبل الرجل المشتكى عليه في ركب عظيم، وبين يديه الفرسان والرجالة، فنزل، ثم دخل المسجد فسلم على القاضي وعلى جلسائه جميعًا، ثم جلس واسند ظهره إلى حائط المسجد، فقال له القاضي: قم هاهنا فاجلس بين يدي مع خصمك، فقال له: اصلح الله القاضي انما هو

---

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٧٣؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٧١-٧٢.

(٢) مولى احدى بنات عبد الرحمن بن معاوية، من اهل قرطبة، يكنى ابا عبد الله، ويعرف بالقبعة، استقضاه الامير محمد سنتين ثم عزله، وهو اول من استقضى في قرطبة من الموالي. ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص٦٧؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج١، ص٢٨٣.

مسجد، والمجالس فيه واحدة لا فضل لبعضها على بعض، فقال له القاضي: قم ها هنا كما امرتك واجلس مع خصمك وساويه، فلما رأى عزم القاضي على ذلك، قام فجلس بين يديه، فقال القاضي للرجل المشتكي ما تقول، فقال: اقول غصبني داراً لي. فقال القاضي للمدعى عليه: ما تقول: فقال: اقول: ان لي عليه الادب فيما نسب الي من الغصب، فقال القاضي: لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب كما ذكرت، فأمّا من كان معروفاً بالغصب فلا. ثم قال القاضي لجماعة من الاعوان: امضوا معه، فإن ردَّ إلى الرجل داره وإلا فردوه اليَّ حتى أُخاطب الامير في امره، وأصف له ظلمه وتطاوله، ثم إنَّه صرف الى الرجل داره[١].

---

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٧١ –٧٢.

سادسا : الامير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م)

تميز المنذر بن محمد بن عبد الرحمن المكنى بأبي الحكم[١] بانه اشد الناس شكيمة، وامضاهم عزيمة[٢]، بعيد الهمة، ولم يكن احد من الخلفاء قبله في شجاعته وصرامته، وحزمه وعزمه[٣] وكان من اهل العقل والسخاء والاكرام لاهل العلم والصلاح[٤] وفيه قيل: بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس[٥].

ولما تمت بيعته اخرج الاموال، وفرق العطايا في الناس، وسرح السجون وتحبب إلى الناس بأن اسقط عنهم عشر ذلك العام، وما يلزمهم فيه من خراج ومعونة نظراً إلى الرعية، وتوطيداً للملك[٦]. واعطى عطائين للجنود وأعمل النظر في ما اسقط عن الإرثة عن الرعية[٧].

وعلى الرغم من السيرة الحسنة التي امتاز بها الامير المنذر بن محمد إلا انَّنا لم نعثر في المصادر التاريخية التي بين ايدينا على روايات تاريخية وحكايات تقص علينا نظره في المظالم او تعرض لنا جلوسه لاستقبال المتظلمين، ويعود السبب كما يبدو الى قصر المدة الزمنية التي حكم فيها والتي هي في حدود سنتين إلا نصف شهر، فضلا عن الفتن والحروب والاضطرابات التي ظلت مشتعلة جمرتها حتى نهاية حكمه[٨].

---

(١) ابن حزم الاندلسي، رسائل، مج١، ملحق١، ص١٩٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١١٣؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ج٢، ص٢٤.

(٢) ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص١٩٥.

(٣) ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢،ص٢٥؛ الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، ص٤٠.

(٤) ابن القوطية، افتتاح الاندلس، ص١١٩.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٢.

(٦) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص١٩٥.

(٧) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج٢، ١٢٠؛ ابن الخطيب الغرناطي، المصدر السابق،ج٢، ص٢٥.

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص١١٩-١٢٠؛ ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٦؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٢.

سابعاً: النظر في المظالم في عهد الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م).

هو الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، المكنى ابو محمد(١).

كان الامير عبد الله يمتاز بالصفات الحسنة، والقابليات الجيدة، فكان ورعاً متواضعاً، محباً للخير، كثير العناية بشؤون الحكم وتوطيده ونشر العدل ورفع الظلم(٢)، بعيداً عن ملذات الدنيا وادعاً لا يشرب الخمر(٣).

وقد اثنى المؤرخ ابن عذارى المراكشي عليه قائلاً: ((كان الامام عبد الله مقتصداً، يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع احواله، وكان حافظاً للقرآن، كثير التلاوة له، وكانت له صدقات كثيرة، ونوافل جزيلة، وكان متقدماً في ورعه وفضله، محباً للخير واهله كثير الصلاة، دائم الخشوع والذكر لله عز وجل كثير التواضع، منكراً للسرف، ومبعدًا لاهله، شديد الوطأة على ذوي الظلم والجور))(٤).

وكان الامير عبد الله بن محمد يخرج إلى الجامع، ويلزم فيه الصلاة إلى جانب المنبر، وهو الذي بنى الساباط بين القصر والجامع في قرطبة لمحافظته على الصلوات في الجماعة(٥).

---

(١) ابن حزم الاندلسي، رسائل، مج١، ملحق١، ص١٩٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٠؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الأعلام، ج٢، ص٢٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٧.

(٢) ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج٢، ١٥٣.

(٣) ابن حزم الاندلسي، المصدر السابق، مج١، ملحق١، ص١٩٣؛ الحميدي، المصدر السابق، ص٢٥؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٩٨.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص١٥٣.

(٥) ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٩؛ ابن حيان القرطبي، ابو مروان حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ)، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، اعتنى بنشره الاب ملشورم. انطوانيه، باريس، ١٩٣٧م، ص٣٤ ،٣٧؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٤؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٩٨.

امتاز الامير عبد الله بانه كان متقدماً في ورعه، كثير التواضع، شديد الوطأة على الظالم والجائر، حريصاً على اقامة العدل، ورفع الظلم، وتطبيق الحق وتنفيذ الحدود(١).

وكانت رعيته تخشى عقابه، فكان اهل المكانات وذو المنازل الرفيعة و الاقدار الجليلة يتحفظون على كل امر يوجب الشكوى بهم، ويهابون عقابه، خوفاً من قصاصه وعدله، فكانت الذات مهجورة في أيامه، وكان معروفاً بكثرة الاستغفار، وتحفظه من اليمين باسمه، فإذا حلف اليه شافع شفعه، او مذنب صفح عنه، ومآثره كثيرة، و فضائله واضحة(٢).

كان يقعد للمظالم على باب قصره؛ فترفع اليه الظلامات، ويصل اليه الكبير والصغير. وكان هذا القعود في أيامٍ معلومة، وكانت تصل اليه الكتب على باب من حديد قد صنع لذلك الغرض، فلا يتعذر على ضعيف ايصال بطاقة بيده، ولا انهاء مظلمة على لسانه(٣).

فكان الامير عبد الله يقعد في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها، فيرى الناس، ويشرف على اخبارهم وحركاتهم، ويُسرُّ بتجمعاتهم، ويسمع قول المتظلم، ولا يخفى عليه شيء من امور الناس، وكان قد فتح باباً في القصر سماه باب العدل، يقعد فيه للناس يوماً معلوما (يوم الجمعة) من دون ان يجعل بينه وبين المظلوم ستراً، وكان يباشر احوال المتظلمين بنفسه(٤).

هذا كل ما زودتنا به المصادر التاريخية عن الامير عبد الله بن محمد من حيث جلوسه للنظر في المظالم في ايام معلومة، و وصول الظلامات اليه عن طريق باب صنع لهذا الغرض أحياناً، ولكنَّ هذه المصادر لم تزودنا بحكايات او روايات تُجسِدِ لنا هذه الاقوالُ على ارضِ الواقع.

---

(١) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب،ج٢، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٨؛ الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، ص٤٨.

(٢) ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٣.

(٣) ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص١٩٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس، (نسخة ملشورم. انطوانيه)، ص٣٤ ،٣٧؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول ، المصدر نفسه، ص١٩٨.

المبحث الأول

الخليفتان عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم بن عبد الرحمن

(٣٠٠- ٣٦٦هـ/ ٩١٢- ٩٧٦م)

أولًا: النظر في المظالم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠هـ/ ٩١٢ ـ٩٦١ م)

تولى عبد الرحمن [١] الإمارة سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م) بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد، وأعلن الخلافة بعد ست عشرة سنة من تسلمه الحكم (٣١٦هـ / ٩٢٨م)[٢]. ولُقِّبَ بأمير المؤمنين الناصر لدين الله وذلك للأسباب الآتية:

١. القضاء على العصاة والمتمردين أمثال حركة المتمرد المولدي عمر بن حفصون وأبنائه[٣] وسيطرته على وضع البلاد بعد أن كانت في حالة فوضى واضطرابات.
٢. السياسة الحكيمة التي إتبعها الناصر، إذ استطاع أن يفرض الأمان والاستقرار، مما شجع على ظهور الرخاء الإقتصادي والسياسي في الأندلس.
٣. منافسة الخلافة العباسية في بغداد، والفاطمية في مصر والمغرب.
٤. رغبة أهل الأندلس في أن يكون عليهم خليفة أسوة بالعباسيين والأمويين.
٥. الضعف الذي أصاب الخلافة العباسية[١].

---

(١) ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية ابن عبد الملك بن مروان. ينظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٧.

(٢) ابن الأبار، المصدر نفسه، ص١٩٧؛ مؤلف مجهول،مدونة عبد الرحمن الناصر، تح ليفي بروفنسال، ترجمه للإسبانية : ميليو كارثيه كومث، مدريد، غرناطة، ص٢٨؛ العزي، نجلة إسماعيل، قصر الزهراء في مدينة الزهراء، بغداد، ١٩٧٧م، ص١٥.

(٣) ابن عمر بن جعفر بن دميان بن فرعلوش بن أذفونش القس، أول ثائر بالأندلس أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (٢٧٠هـ)، حتى بداية إمارة عبد الرحمن الناصر، وهلك سنة (٣٠٦هـ) لـ (٣٧) سنة من ثورته، ينظر: ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص١٠٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٢٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٢.

إمتد حكم عبد الرحمن الناصر نصف قرن (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)، وينقسم عهده نهاية عصر الإمارة المستقلة، وبداية عهد جديد في الأندلس، إذ حكم في عهد الإمارة خمسة عشر عاما، وأصبح الناصر في قرطبة (Cordoba) يمثل سلطان الإسلام[٢].

تحدثت المصادر الأندلسية عن شخصية الخليفة عبد الرحمن الناصر وإنجازاته، وقد مجدت وامتدحت إصلاحاته، وضبطه للأمن، وتوفيره للإستقرار، ونشره ثقافة التسامح، وحرية الأديان، وقضاءه على الفتن والإضطرابات، وإهتمامه بحملات الجهاد، فقد كان ((أعظم بني أمية بالمغرب سلطانا، وأفخمهم في القديم والحديث شأنا، وأطولهم في الخلافة ـ بل أطول ملوك الإسلام قبله ـ مدة وزمانا))[٣].

ولى الناصر الأندلس وهي ((جمرة تحتدم، ونار تضطرم شقاقا و نفاقا، فأخمد نيرانها، وسكن زلزالها، وغزا غزوات كثيرة، وكان يُشبَّه بعبد الرحمن الداخل))[٤]. لصفاته التي كانت ظاهرة عليه من الذكاء والسياسة والإنصاف والتسامح، فإستبشر الناس خيرا به، وبدأ أول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا[٥].

وقبل الحديث عن موقف الخليفة الناصر من المظالم، لا بد من العروج على حادثة الرجل المعتوه ، والتي تبرهن على تسامح وعطف الناصر مع الرعية، فقد تعرض موكب

---

(١) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٢٣؛ ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ج٢، ص٣٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣١٩؛ العزي، نجلة إسماعيل، قصر الزهراء، ص١٦؛ عباس رضا هادي وآخر، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ط٢، دار الحوراء، بغداد، ٢٠١٠، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٤؛ ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص١١٤؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٩؛ مكي، محمود علي، التاريخ السياسي للأندلس، ج١، ص٨٦.

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٧.

(٤) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٩؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج٢، ص٣١.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٤.

الخليفة الناصر في أثناء عرض عسكري على مقربة من مخارج القصر بالزهراء[1] لرجل معتوه، صاح على الخليفة صياحا منكرا، وهرول نحوه، ومد يده الى شكائم عنانه، يريد القبض عليها، فنفر الفرس الذي تحته، وكاد يلقي الخليفة أرضا لولا قوة إمساكه على سرجه، فأثار المعتوه أكابر فتيانه الصقالبة الحافين به يحسبونه من الأعداء الخارجين الذين يريدون الإنتقام من الخليفة، فخطفوه بأسيافهم، ووخزوه بأسنتهم فقتلوه، والخليفة مندهش لما يحدث، وبعد ذلك سب الخليفة حراسه وشتمهم لعدم ترويهم في قتل هذا الرجل المجنون الذي كان لا يعقل ما يفعل، وأمر بعد ذلك بالسؤال عن أولياء هذا المجنون، فوداه لهم وتعهدهم بالإحسان إليهم مدة حياته[2].

يبدو لنا من هذه الرواية أن معرفة الخليفة الناصر لحقيقة المهاجم جعله يتسامح مع أهله ويعطف عليهم، من خلال إكرامه وإحسانه لهم طيلة حياته.

إهتم الخليفة الناصر بتحقيق مبادئ الإسلام، وإدامة الخير والسلام في البلاد، فكانت من ضمن وصاياه ونصائحه لموظفي الخلافة هو محاربة الظلم والفساد، فقد أوصى الناصر وزيره موسى بن أبي العافية[3] الإشادة بالعدل، وتطبيقه، جاء فيها ((وإنك بما اخلص الله من طاعتك ومفارقتك لأهل الإلحاد، بصحة إيمانك وتبرئتك من البدع بمتين سلامك، احق من إطلع على سرائر اليهودي الغاوي تواطئه وما يعامل به الرعاع من أشياعه، أهل الجهل بالله، بانتحائه الخزي، وأحاق به اللعنة، وما يرفعه عنه من يختصه من مشارفته ...))[4].

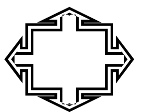
---

(١) مدينة بناها الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن الثالث سنة ٣٢٥هـ، وتمادى في بناءها الى حين وفاته سنة ٣٥٠هـ، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣١؛ ابن الدلائي، ترصيع الأخبار، ص١٢٣.

(٢) ابن السماك العاملي الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء (ت في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري)، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تح محمود علي مكي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٩٥.

(٣) من أمراء البربر عينه الخليفة الناصر لدين الله بمرتبة وزير بدلا من الوزير محمد بن خزر ، ينظر: ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح شالمينا وآخرون، نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩، ج٥، ٣٠٧.

(٤) ابن حيان القرطبي، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥٠.



فقد عرف عنه رفضه الظلم، ومعاقبته للخارجين عن القانون، والذين يسيئون في معاملتهم للرعية من خلال مناصبهم، فقد عاقب في سنة (٣٠٧هـ) حبيب بن سوادة[١] وولديه بعقوبة القتل بسبب ما وصل اليه عنهم من مظلمات من قبل الرعية[٢].

كان الخليفة الناصر لدين الله من الحكام الذين أولوا الرعية إهتماما كبيرا، وذلك من خلال نصرته للضعفاء، ورد مظالمهم، وحل مشكلاتهم، فقد رُوي أن رجلا ظُلِمَ فتقدم بطلب الى الخليفة من دون عرض مظلمته للقاضي أو المحتسب، فأناله الخليفة فيها ردّ الاعتبار[٣]، ومن ضمن اهتمامات الخليفة عبد الرحمن الناصر مراقبة الجهاز الإداري والعسكري للدولة للحصول على المعلومات السرية؛ لإقامة الحد على العمال والقادة إن هم أساءوا إستخدام نفوذهم مع الرعية، فعندما أُبلِغَ بعدم إخلاص صاحب الأسطول في بجّانة (Bachina)[٤] والمريّة (Almeria)[٥] سعود بن علي[٦]، وإساءته الى الحق وظلمه لأهلها، نصحه الخليفة الناصر أن يغير في طريقة معاملته للرعية، كما جاء بالنص الآتي: ((فلم يلبث أن غيرته الولاية فأساء السيرة، وآذى الرعية، وتعزز على السلطان، فكتب رؤساء البحريين الى الناصر لدين الله بأمره، ودعوا الى إزالته، فسامه الإعتدال أو الإعتزال...))[٧].

ومما المظلمات التي عرضت على الخليفة وأصدر فيها حكما عادلا، مظلمة تاجر زعم أنه قد أضاع كيسا من المال فيه مائة دينار، ونادى عليها وإشترط أن يهب للآتي بها عشرة دنانير، فجاء بها رجل عليه سمة خير، فذكر أنه وجدها، فلما حُصّلت في يده، قال: إنها كانت مائة وعشرة دنانير!، وأنَّ العشرة التي نقصت منها أخذها الذي أتى بها، وأبى

---

(١) حبيب بن عمروس بن سواده صاحب مدينة قرمونة، عرف عنه ظلمه للرعية، ومعصيته للخليفة الناصر، ابن حيان القرطبي، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٦.

(٢) مؤلف مجهول، مدونة عبد الرحمن الناصر، ص٦٠.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٢٥.

(٤) مدينة بالأندلس، من أعمال كورة البيرة، بينها وبين المرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة مائة ميل، وهي ثلاثة وثلاثون فرسخا. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١،ص٣٣٩.

(٥) مدينة كبيرة من كورة البيرة، كانت هي وبجّانة بابي الشرق، دخلها الإفرنج سنة ٥٤٢هـ، وإسترجعها المسلمون سنة ٥٥٢هـ، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٥، ص١١٩.

(٦) من أهل حاضرة البيرة، تولى ـ بعد وفاة أخيه ـ قيادة الإسطول البحري على مدينة بجانة والمرية وأعمالهما من ذي القعدة، ينظر : ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٩٨.

(٧) ابن حيان القرطبي، المصدر السابق، ج٥، ص١١١-١١٢.

أن يدفع له ما شرط، فوقّع الناصر: صدق التاجر والرجل الذي وجد المال، ولولا صدق الرجل ما أتى بشيء مجهول، فأردد عليه المائة، وناد على مال التاجر(١).

أي : إن الخليفة عاقب التاجر الذي لم يفِ بوعده، وكذب بإدعائه أن الكيس فيه عشرة ومائة دينار؛ ليتخلص من الهبة التي اشترطها للآتي بالكيس، فعاقبه الخليفة بإرجاع المال الى الرجل الذي وجده.

نقول: بالرغم مما أشادت به المصادر التاريخية من عدل الخليفة الناصر ورفعه للمظالم، وإستقباله للشكاوى، وإنصافه للحق، فقد لحقت به مساوئ، قال شيخ المؤرخين إبن حيان: ((وما كان عبد الرحمن الناصر لدين الله بالبعيد عن جد جده الحكم بن هشام في إنهماكه في المعاصي، وإلتباسه بالريب، وعبثه في الرعايا، وإستهتاره باللذات وتغليظ العقوبات ، وتهوينه بالدماء))(٢).

فضلا عن ذلك فإن المصادر الأندلسية لم تذكر لنا جلوس الخليفة الناصر للنظر في المظالم على الرغم من طول مدة حكمه، وهل كان يستعين في جلوسه بقاض أو حاجب، أو أنه أفرد يوما معينا للمظالم، كما أن هذه المصادر لم تزودنا بمعلومات عن خطة النظر في المظالم، أو نشاطها في عهد خلافة الناصر لدين الله، بإستثناء إشارات بسيطة وجدناها عند إبن الفرضي (ت٤٠٣هـ) ، وفيها أن أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حُدير(٣) وُلّيَ خطة الوزارة، وأحكام المظالم، وكان في أحكامه مهيبا في الحق، وكذلك ابن حيان وهو يستعرض لنا تكليف الخليفة للوزراء والعمال، وكيف كلف أحمد بن عبد الملك بن شُهيد بخطة الشرطة وخطة المظالم، وكان يوسم بـ (ذي الوزارتين) و(المثنى الوزارة)(٤).

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٢٦.

(٢) المقتبس، ج٥، ص٢٧.

(٣) من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، كان من أهل الأدب البارع، له قوة في البديهة، توفي سنة ٣٢٧هـ. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣٢.

(٤)المقتبس، ج٥، ص٤٧٠-٤٧١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣٢.

ثانياً: الخليفة الحكم المستنصر الثاني (٣٥٠هـ - ٣٦٦هـ / ٩٦١م - ٩٧٦م)

إعتلى الحَكم بن عبد الرحمن[١] سرير الحكم ثاني يوم من وفاة أبيه الناصر لدين الله، وقام بأعباء الخلافة على أتم وجه[٢]، وأتخذ من الألقاب الخلافية لقب (المستنصر)، وقد تابع سياسة والده على الصعيد الداخلي والخارجي، فقد عينه أبوه وليًا للعهد وهو في الثامنة من عمره، وظل بهذه الصفة مدة تقارب الاربعين سنة، حتى تقلد الخلافة وهو في سن السابعة والاربعين، سنة (٣٥٠هـ)، متسلما للسلطة وهي قوية ومستقرة وغنية، وبقيت كذلك حتى نهاية حكمه، وكان أهم ما يميزه عن سائر أمراء وخلفاء الأندلس هو علمه الواسع، وتشجيعه للعلماء[٣]، فقد أشاد المؤرخ إبن الخطيب الغرناطي بحسن سيرته، وحبه للعلم، ورعايته للمفكرين والعلماء، قائلا: ((كان عالما، فقيها بالمذاهب، إماما في معرفة الأنساب، حافظا للتاريخ، جماعا للكتب، متميزا للرجال من كل عالم وجيل ... ، وإليه إنتهت الأبهة والجلالة والعلم والأصالة، والأثار الباقية، والحسنات الراقية))[٤].

ذكر المؤرخون الأندلسيون أن الخليفة الحكم الثاني المستنصركان مهتما بتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية، وأنه قد رام بقطع الخمر من الأندلس، وأمر باراقتها، وتشدد في ذلك، وشاور في إستئصال شجرة العنب، فقيل أنهم يعملونها من التين وغيره، فتوقف عن ذلك[٥].

---

(١) لُقب بالمستنصر وكُنيَ أبو العاصي، وُليَ بعد أبيه الخلافة وهو ابن سبع وأربعين سنة، وقيل ثمان وأربعين. ينظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٠.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٦.

(٣) ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص١٠٠؛ ابن الأبار المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ مكي، محمود علي، التاريخ السياسي، ج١،ص٨٩.

(٤) أعمال الأعلام، ج٢، ص٤٢-٤٣.

(٥) ابن حزم الأندلسي، رسائل، مج١، ملحقات، ص١٩٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٦؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٣؛ العزي، نجلة إسماعيل، قصر الزهراء، ص٢٥.

إمتاز الحكم المستنصر الثاني بالخصال الحميدة، فقد كان فاضلا عادلا، محبا لعمل الخير، متفقدا أحوال الرعية، فمن مواقفه العادلة أنه في عام (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) أجرى النفقات بكل ربض من أرباض قرطبة، والزهراء، بسبب المجاعة الكبرى التي حلت بالأندلس [١].

تابع الخليفة الحكم المستنصر الثاني رعاية الفقراء ومساعدتهم، من خلال التخفيف عن كاهل الرعية من خلال رفع الضرائب عنهم، لأنها كانت تشكل عبئا كبيرا عليهم، ففي سنة (٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) ((أسقط الحكم سدس جميع المغارم عن الرعايا بجميع كور الأندلس))[٢].

اللافت للنظر أن عهد الحكم المستنصر الثاني عهد عدلٍ، فقد ذكرت المصادر التاريخية الأندلسية أنه لم تلحق رعيته في أيامه مذلة، ولا نالتهم مظلمة؛ لمتابعته أوضاع رعيته، ساعيا الى تحسين أوضاعهم بوساطة جهازه الإداري، وثقاته لتفقد أحوال البلاد، قائلا لهم : ((إن لم تنصحوا فأنا المباشر لها بنفسي، فإني أنا المسؤول عنهم، فما العذر بين يدي السائل، ثم بكى الخليفة بعد ذلك، خشوعا للباري عز وجل))[٣].

النص السابق يعكس لنا صورة واضحة عن عدل الخليفة، وإنصافه للرعية، وعطفه عليهم، لكن من دون ان نجزم بعدم تعرض رعيته الى مذلة أو مظلمة؛ إذ إن إصدار أحكام عامة لا يخلو من المبالغة.

أكد الخليفة الحكم المستنصر الثاني على العدالة والإنصاف، ورد الحقوق وحماية المظلومين، وذلك من خلال كتبه الى القواد والعمال في أقطار مملكته، وإنكار ما اتصل به من أن بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولا مشورة، وإن ذلك عظم عنده وأنه يتبرأ الى الله مما أقدم عليه[٤]. كما جاء في أحد كتبه: ((أما بعد فإن الله جل ثناؤه لا يظلم مثقال ذرة، ولا يقوي الظالم، وهو الوكيل بنصرة المظلوم، وقد أعد للظالمين عذابا أليما، وقد علمتم عنايتنا بالمسلمين، وحفظهم حفظنا بالعباد، فأحفظتموها الى العنف والإستبداد، وحماكم السخف المركب منكم، ووصيتنا بالداني والقاصي، والمطيع

---

(١) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٦؛ العزي، نجلة إسماعيل، قصر الزهراء، ص٢٥.

(٢) ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج٢،ص٢٤٩.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢١٦.

(٤) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج٢،ص٢٤٠.

والعاصي، ونبذتم بالعراء أمر، فلتراجع التوبة عما أنتم سببه من الجور، وأثبتوا العدل ((وسيعلمُ الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)) [١]، والسلام))[٢].

كان الخليفة الحكم المستنصر يسعى دائما الى إثبات عدله، وإخلاصه لرعيته، فقد أرسل في سنة ٣٦٢هـ صاحب الرد[٣] القاضي عبد الملك بن المنذر بن سعيد البلوطي[٤] (ت٣٦٨هـ) الى مدينة الفرج وادي الحجارة ليتحقق الى حقيقة ما رفعه أهلها أهلها من مظالم على قائدها رشيق بن عبد الرحمن لينصفهم منه[٥].

نستخلص من النصوص التاريخية السابقة الذكر ان سيرة الحكم المستنصر الثاني قائمة على العدل والرفق بالرعية، كما انه اتبع سياسة استندت الى اصول الشريعة الاسلامية، إلا أن المصادر الأندلسية التي بين أيدينا لم تسعفنا بمعلومات مفصلة عن رده للمظالم، خلال مدة حكمه، فضلا عن جلوسه للغرض نفسه، أو يمكن القول أن المصادر التي تضمنت هذه المعلومات قد فقدت بمرور السنين، باستثناء ما اورده ابن حيان القرطبي[٦] من انه اوكل خطة النظر في المظالم الى بعض وزراءه، أمثال الوزير عبد الرحمن بن موسى بن حدير[٧].

---

(١) سورة الشعراء: الأية/ ٢٢٧.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢١٤.

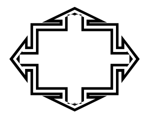
(٣) صاحب الرد: من ردَّ بما رُدَّ عليه من الأحكام، ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص٨١.

(٤) ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن نجيح ، من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان، ولي خطة الرد، مولده سنة (٣٢٨هـ)، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج١، ص٢٥٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٥) ابن حيان القرطبي (ت٤٦٩هـ)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٥م، ص١٠٤-١٠٥.

(٦) المقتبس، تح الحجي، ص٨٦.

(٧) يكنى أبا المُطرِّف، كان ديِّنا خيِّرا، توفي سنة (٣٦٩هـ)، ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٢.



المبحث الثاني

عصر الحجابة العامرية

(٣٦٦هـ - ٣٩٩هـ / ٩٧٦م - ١٠٠٨م)

لما توفي المستنصر بويع ولده هشام[١] الملقب بالمؤيد بالخلافة، وكان صغيرا مناهزا للحلم، له من العمر عشرة اعوام وأشهر[٢]، فكان يتولى ابو عامر محمد ابن ابي عامر الملقب بالمنصور[٣] جميع الامور (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، وسيطر ابن ابي عامر على اوضاع الدولة، وتمكن من الوصول الى الحكم بعد القضاء على القوى المنافسة التي ارادت السيطرة على الحكم، وهم فئة الحاجب جعفر المصحفي[٤] (ت٣٧٢هـ)، والقائد العسكري غالب بن عبد الرحمن[٥](ت٣٧١هـ)، وانتهت هذه المنافسة لصالح محمد بن ابي عامر بعد ان قضى عليهم[٦].

---

(١) ابن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، ينظر: ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ج٢، ص٦١.

(٢) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩؛ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، ص٢١.

(٣) محمد بن عبد الله بن عامر بن ابي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، ونزل الجزيرة ورشح الخليفة الحكم بن ابي عامر الى وكالة العهد لابنه هشام لسنة (٣٥٩هـ)، ثم أضاف الحكم له الخزانة، ثم قدومه الى خطة المواريث، ثم استقضاه على كور اشبيلية، ثم رقاه الى الشرطة الوسطى، ثم قدمه الى الأمانات بالعدوة، واصطنع اهل الخصوصية ، فما من يوم الا ويرتقي منزلة او يستزيد امره، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٦؛ ابن الخطيب الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢-٦٣.

(٤) ابو الحسن، جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيلة القيسي، وهو بربري من بلنسية، وكان شاعرا له من الشعر الكثير، جعله الخليفة المستنصر بالله على الوزارة، وعلى الكتابة الخاصة، ينظر: ابن الأبار ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٧؛ ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٤.

(٥) فارس الأندلس، وأبو الأبطال، كان قائد البحر وقائد البر، وقائد جيش الثغور، ينظر: ابن الأبار، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٦؛ ابن الخطيب الغرناطي ، المصدر السابق، ج٢، ص٦٥.

(٦) ابن الأبار، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٦؛ ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢، ص٦٥.

أما بالنسبة للخليفة هشام المؤيد فقد قام المنصور بحجبه عن الناس وعن الحكم، علما أن المنصور بن ابي عامر لم يكن صاحب السلطان الشرعي لدولة الإسلام في الأندلس، طيلة فترة حكمه فيها حتى وفاته، إلا انه يمكن عده المسؤول الوحيد لكل ما تم فيها من منجزات[١]، فضلا عن ذلك فهو من الشخصيات القيادية البارزة في دولة الأندلس، والتي وصلت في عصره الى اوج الأمن والإزدهار، وقد أشاد به إبن الخطيب قائلا: ((فولوا أشهرهم بأسا ، وأبعدهم في حسن الذكر، الحازم العازم، العظيم السياسة، الشديد الصلابة، القوي الثبت الموقف، مَعُود الإقبال، ومبلغ الأمال، الذي صحبته ألطاف الله الخفية في الأزمات، وأظهر له النصر العزيز نحو سبع وخمسين من الغزوات، ولم تفارقه السعادة، حالتي المحيا والممات))[٢].

---

(١) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠.

(٢) أعمال الاعلام، ج٢، ص٦٥.

أولًا:ـ النظر في المظالم في عهد الحاجب المنصور(٣٦٦ـ٣٩٢هـ/٩٧٦ـ١٠٠٢م)

سعى المنصور الى إتباع حسن السياسة والتصرف الحكيم، إذ أرخص للجند العطاء، وأعلى مراتب العلماء، فقد ((منع الوزراء من الوصول اليه إلا في النادر من الأيام، يسلمون وينصرفون، وقمع أهل البدع، وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين)) (١)، ولم يغفل عن مراقبة الأسواق، وجموع الدهماء، فكانت ـ كما يقول النباهي ـ له ((عيون بالليل والنهار، لا يقع أمر من الأمور حتى يعلم به))(٢)، كما كان له كاتب يدور في الضواحي يترصد ما يجري من قصة أو حدث بين ولاتها من مشاورة، فيكتب له بذلك، ويبعث له لينظر به(٣).

نستخلص من ذلك أنه كان رجلا على درجة من الذكاء، وإستغلال الظروف، قادرا ـ في كل الحالات ـ أن يقيم موازنة بين أطماعه وأماله وبين الواقع.

أنصف الحاجب المنصور أهالي الأندلس من المزارعين طبقة الضعفاء والفقراء ، فجعل الخليفة هشام يأمر بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة على الزيت في قرطبة قسرا، إذ كانت من المكروهات عند الناس، وقد سر الناس بذلك الاجراء، ونسب لمحمد بن أبي عامر من ناحية الرعية(٤).

من المظالم التي عرضت عليه مظلمة رجل من العامة في مجلسه ((نادى: يا ناصر الحق، إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك، وأشار الى الفتى صاحب الدَّرقة(٥)، وكان له فضل محل عنده، ثم قال: وقد دعوته الى الحاكم فلم يأتِ،

---

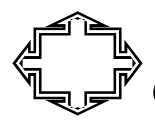
(١) ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٧٦.

(٢) حسن النباهي، المرقبة العليا ، ص٩٥.

(٣) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ج٢، ص٧٢.

(٤) منشد، جواد كاظم، المنصور بن أبي عامر وجعفر المصحفي والصراع على السلطة، مجلة آداب البصرة، مجلة محكمة فصلية تصدر عن عمادة كلية الاداب البصرة، العدد ٤٣، ٢٠٠٧م، ص١٥٨.

(٥) معناه ترس من جلود ليس فيه خشب، ينظر: الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تح مهدي المخزومي وآخر، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، ج٥، ص١١٥؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة للطباعة والنشر، تركيا، ١٩٦٢، مادة (درق) ، ص٢٨١.



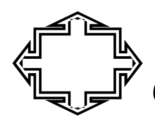
فقال له المنصور: ... أذكر مظلمتك يا هذا، فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما فقطعها من غير نصف، فقال المنصور: ما اعظم بليتنا بهذه الحاشية، ثم نظر الى الصقلبي وقد ذهل عقله، فقال له : إدفع الدرقة الى فلان، وإنزل صاغرا، وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك))، ففعل ومثل بين يديه، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به: خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره، ففعل ذلك، وعاد الرجل إليه شاكرا، فقال له المنصور: ((قد إنتصفت أنت، فإذهب الى سبيلك، وبقي إنتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي، فتناول الصقلبي بانواع من المذلة، وأبعده عن الخدمة))(١).

ومن الروايات التي تدل على إنصاف الحاجب المنصور، رواية التاجر المشرقي الذي قصد بلاطه ومعه كيس من الياقوت النفيس ليبتاعها إليه، والتي إختفت منه عندما كان يسبح في نهر في قرطبة، فشكا ذلك الى بعض أصدقائه، فقالوا له : إرفع مظلمتك الى إبن أبي عامر، فذهب باكيا حزينا الى بلاط الحاجب، يطلب نجدته، وينظر في مظلمته، فإستجاب له الحاجب المنصور قائلا:((ننظر إن شاء الله تعالى في شأنك))، وأمر بإجراء التحقيق، فعثر على كيس الياقوت عند رجل فقير، ذكر أن طائرا أسقط ذلك الكيس على داره، فأعاده للتاجر، فشكر التاجر الحاجب المنصور، وقال : لأحدثن بمشارق الأرض ومغاربها، أن إبن أبي عامر يحكم على الطيور ويُنصف منها)) (٢)، ويبدو لنا أن أحد الأشخاص هو من قام بسرقتها، ولكنّه حين علم بأنّ الحاجب المنصور أمر بإجراء التحقيق والبحث عنها، رماها في بيت ذلك الرجل الفقير.

---

(١) ابن خاقان الأندلسي، الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت٥٢٩هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح هدى شوكت بهنام، دار الغصون، بيروت، (د.ت)، ص٢٠٦؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢،ص٢٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٠٩-٤١٠؛ على أدهم، منصور، الأندلس، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٢؛ المقري، المصدر نفسه، ج١، ص٤٠١-٤٠٢؛ أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي والأندلسي، ص٤٥٢؛ محمود يوسف، المنصور بن أبي عامر، مجلة معهد المدرسين العالي، جامعة بغداد، العدد الأول، ١٩٦٤، ص١٦٨.



وعلى فرض صحة هذه الرواية، فإنها تدل دلالة قاطعة على إستجابة الحاجب المنصور بن أبي عامر لمن إستنجده، وطلب رفع الظلم عنه، سواء أكان من المشرق، أم من الأندلس.

أكدت النصوص الأندلسية إهتمام الحاجب المنصور العامري بالرعية، وعن رده للمظالم، من ذلك قصة الفتى البورقي خادم المنصور مع التاجر المغربي، فإنهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور، فظن أن مكانته عند المنصور تجعله ممتنعا عن القسم، فصرخ التاجر متظلما : يا بن أبي عامر ـ وهو في طريقه الى الجامع ـ من الفتى، فأنصفه منه وعاقب خادمه على ذلك بنفيه وعزله عن خدمته(1).

يبدو لنا من هذه الرواية عدم تقيد العامة بالأوقات المحددة لعرض مظالمهم من خلال تعرض التاجر المغربي لطريق الحاجب، ليرفع إليه مظلمته ضد أحد فتيانه.

ومما يدلل على إنصافه وعدالته ما روي من قصة محمد الفصّاد خادم المنصور وأمينه على نفسه ((فإن المنصور إحتاجه يوما الى الفَصْد(2)، وكان كثير التعهد له، فأرسل رسوله الى محمد، فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب(3) لحيف ظهر منه على إمرأته، فظن أن خدمته للمنصور تحميه من العقوبة، فلما رجع الرسول الى المنصور بقصته، أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه إلى أن يفرغ من عمله عنده، ثم يرده الى محبسه، ففعل ذلك على ما رسمه، وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله، فقطع عليه المنصور قائلا: ((يا محمد: إنه

---

(1) ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ص٢٠٦؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٠؛ على أدهم، منصور الأندلس، ص١٦٥.

(2) معناه العضد، شقَّ العرق، وأسالَ الدم، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٣٣٥.

(3) قاضي الجماعة بقرطبة، كان فقيها نبيلا، فاضلا جليلا، وكان له حظ كبير من علم الإعراب والفقه، وله كتاب في الفقه سماه (الخصال)، كان في أوائل الدولة العامرية،يكنى أبا بكر، وَلِيَ قضاء الجماعة سنة ٣٦٧هـ، توفي سنة ٣٨١هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص١٠٤؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٣٠٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٤٧؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٩٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ج١، ٢٢٤-٢٢٥.

القاضي، وهو في عدله، ولو أخذني الحق ما أطقت الإمتناع منه، عد الى محبسك أو إعترف بالحق فهو الذي يطلقك))، فأنكسر الحاجم وزالت عنه العناية))(1).

يبدو لنا هنا واضحًا وجليا أن الحاجب المنصور العامري، كان حريصا على إختيار قضاته من الأكفّاء ، أصحاب السيرة الحسنة والخبرة؛ لذلك كان لا يتدخل في صدور أي حكم من الأحكام، ليحافظ على هيبة القضاء وإستقلاله.

نستنتج من الروايات التاريخية الأندلسية التي أشارت الى شخصية الحاجب المنصور العامري وكيفية إستخدامه القوة للحصول على مبتغاه، وهذا ما دار بينه وبين منافسيه في السلطة، فضلا عن حجبه الخليفة الفعلي عن الحكم، وتوليه مهام السلطة بنفسه، إنه كان أقوى شخصية لامعة وبارزة، إستطاع حماية البلاد من القوى الإسبانية المعادية، كما كان حريصا على قمع الظلم، ورفع المظالم عن الرعية، حتى وإن كان ذلك هدفا سياسيا يحاول من خلاله وقوف الرعية الى جانبه، علما أن الحاجب المنصور قد إستخدم القوة والبطش في مواجهة المخاطر، وأحيانا كان لا يرحم من ينافسه ويتغلب عليه، على أن هدفه ـ كما يبدو ـ هو كسب ثقة القضاة والفقهاء والرعية، في حرصه وإهتمامه ومتابعته للنظر في المظالم؛ لأنه الباب الأمثل للدخول الى حب الرعية، كما أنه كان لا يتوانى في إحقاق الحق، ومواجهة الظلم والباطل لينتصر على الأعداء، وينجح في الحكم، ومما يذكر عن شدته أنه أمر بإلقاء القبض على إبنه عبد الله الذي خانه وإتصل بالأعداء، فأمر بإنزال القصاص بحقه.

أشارت بعض المصادر الى أن إبن أبي عامر أسند خطة المظالم الى بعض القضاة، مثل أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس

---

(١) ابن خاقان الأندلسي، مطمح الأنفس، ص٢٠٧؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٠_٤١١؛ العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، ص٤٥٤.

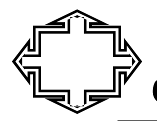
(ت٤٠٢هـ) [١]، الذي كانت أحكامه شدادا، وعزائمه نافذة، وكان صلبا في الحق ونصرة المظلوم، وقمع الظالم، وإعزاز الحكومة، وله على الظالمين سورةٌ مرهوبة[٢].

ومن هنا يمكن القول: أن إبن أبي عامر لم يكن المتولي الوحيد لخطة المظالم، بل قام بإسنادها الى بعض قضاته، المعروفين بعدلهم ونزاهتهم من أهل الفقه والخبرة.

---

(١) ابن أصبغ بن سليمان، قاضي الجماعة بقرطبة، مولده سنة (٣٤٨هـ)، وكان قبل القضاء صاحب المظالم. ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص٢٥٥ ،٢٥٧.

(٢) ابن بشكوال، المصدر نفسه، ص٢٥٧؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٠٢؛ حمود، سادسة حلاوي، مدينة الزهراء في الأندلس دراسة في خططها وبنائها وأحوالها السياسية والاجتماعية والفكرية والادارية والعسكرية (٣٦٦ ـ ٣٩٩هـ / ٩٧٦ ـ ١٠٠٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، بإشراف الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي، ١٩٨٦م، ص١٤٤.



ثانياً: النظر في المظالم في عهد الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر (٣٩٢ - ٣٩٩هـ/١٠٠٢- ١٠٠٨م)

رشح الحاجب المنصور ولده عبد الملك[١] للحجابة من بعده، وهو فتًى لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وكان أهلا للمهمة التي إختارها له أبوه، فكان برًا بالخليفة هشام، محافظا على مكانته وهيبته، ولذلك حسن ظن الناس فيه، إعتمد على ما كان في خزائن الدولة من مال وفير، فبادر - في بداية ولايته - إلى ((إسقاط سدس الجباية عن جميع الرعية))[٢].

إمتدح المؤرخ إبن الخطيب الغرناطي عهد الحاجب المظفر قائلا: ((بلغت الأندلس فيها الحد الذي فاق الكمال، حتى تناهت تلك الدولة في إحتشاد النعم عندها، ...، في كنف ملك مقبل السعد، ميمون الطائر، غافل عن الأيام، مسرور فيما تتنافس فيه رعيته من زخرف دنياها)) [٣]، وكانت أيامه أعيادا دامت سبع سنين[٤]، وأطلق إسم السابع تشبيها بأيام العروس[٥].

يمكن القول أن الإنجازات التي قام بها الحاجب عبد الملك بن محمد أبي عامر، والإستقرار السياسي في عهده، كانت عوامل مشجعة على حب الرعية له، وتزايد التأييد لحكمه.

عُرِفَ عن الحاجب المظفر إظهار العدل، وحماية الشرع، ونصرة المظلوم، وقمع أعداء الدين، متقربا للصالحين، فإجتمع الناس على حبه، وإطمأنوا الى جنبه[٦]، وفي

---

(١) الملقب (المظفر)، ينظر المزيد من التفاصيل: الحميدي، جذوة المقتبس، ج٢، ص٨٤؛ ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ج٢، ص٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٣٠.

(٢) ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢، ص٨٠؛ العبادي، أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٧.

(٣) ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ج٢، ص٨١.

(٤) الحميدي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤؛ ابن الكردبوس، الإكتفاء، ج١، ص٣٨٨.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٣.

(٦) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج٢، ص٨٠؛ العبادي، المرجع السابق، ص٢٦٧.

عهده إستتب الأمن، وإستبشر الناس بعهده خيرا[١]، وإتخذ سنن أبيه في السياسة والغزو، والنيابة عن هشام المؤيد.

كانت فترة الحاجب المظفر فترة استقرار وإزدهار طيلة فترة تقلده الإمارة، الى أن مات سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، وثارت الفتن بعده[٢].

نخلص من ذلك الى القول: أن ما ورد في المصادر الأندلسية التي بين ايدينا عن عهد الحاجب المظفر بن المنصور، هي معلومات لا تتعدى الثناء والمدح على شخصه، فلم ترد فيها نصوص تاريخية ذكرت لنا روايات او قصص عن نظره في المظالم، فضلا عن احد من وزرائه أو قضاته، إلا إشارة واحدة وجدناها عند النباهي وهو يتحدث عن عزل القاضي أبي العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان[٣] (ت٤١٣هـ)، من قبل الحاجب المظفر بن المنصور فعزل معه أخاه ابو حاتم عن المظالم، من دون أن يزودنا بإسمه[٤]، لنستدل من ذلك أن أبا حاتم كان يتولى النظر في المظالم في عهد الحاجب المظفر.

ولما توفي الحاجب المظفر قام بالامر من بعده أخوه عبد الرحمن[٥]، وتلقب بالناصر لدين الله وذلك في سنة (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)، وتسمى بالمهدي، وسمته العامة شنجول[٦] وجرى على سنة أبيه وأخيه في حجر هشام والإستقلال بالمُلكِ من

---

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص٨٠.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ج٢، ص٨٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٣.

(٣) كان من خير القضاة نزاهة، وعلما، ومعرفة، ورزانة، وعدلا، وحزامة، ولاه القضاء المنصور بن أبي عامر، وكان من جلة أصحابه وخواصه، وكذلك كان حاله مع ولدية المظفر والمأمون بعده، كاد به وزير الدولة عيسى بن سعيد، فصرفه الحاجب المظفر عن القضاء والصلاة، ثم أرجعه الى خطته بعد تسعة أشهر من عزله، توفي سنة (٤١٣هـ)، ينظر: ابن بشكوال، الصلة، مج١، ص٤٢-٤٣؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٠١.

(٤) النباهي، المصدر نفسه، ص١٠١.

(٥) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٣، ص٣٨؛ ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ج٢، ص٨٤.

(٦) هو تصغير لفظة سانشو، وهو اسم جده لأمه الذي كان ملكا لنافارا، وكان المنصور قد تزوج ابنته التي إعتنقت الإسلام وتسمت بإسم عبده، ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، المصدر نفسه، ص٦٦.

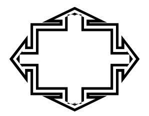
دونه[1]، لكنه كان مغايرا لهم في السياسة والعدالة، فحارب الله تعالى بالكذب والفجور، وعاشر الرعية بالظلم والإضطهاد، وعكف على المعاصي وشرب الخمر مجاهرة، كما أنه أراد الإستئثار بما بقي من رسوم الخلافة، فطلب من الخليفة هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه بالموافقة، وأحضر لأجل ذلك الملأ من أرباب الشورى، وأهل الحل والعقد، فضج لذلك بنو أمية، وإستعظموا طغيانه وغيه، ونقم عليه أهل الدولة، وكان أسرع الناس كراهة لذلك الأمر الأمويين والقرشيين رافضين تحويل الأمر من المضرية الى اليمنية، فكان نتيجة لطغيان وطمع عبد الرحمن بالخلافة أن نال حتفه، وخلع هشام المؤيد من السلطة سنة (٣٩٩هـ)، وتنتهي بذلك حقبة الحجابة العامرية في الأندلس[2].

نستنتج مما ذكرناه عن فترة حجابة عبد الرحمن بن محمد ابي عامر، أنها كانت فترة مظلمة، عاشر فيها الرعية أسوأ معاشرة، وأذل أهل الشرف منهم، رافعا لكل وغد وأحمق، كما لم ترد أية إشارة في المصادر الأندلسية الى توليه النظر في المظالم او اسنادها الى أحد من القضاة أو الوزراء أو غيرهم، وربما يعود السبب في ذلك الى قصر مدة توليه الحجابة.

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٧٨؛ المقري، نفح الطيب، ص٤٢٤.

(٢) ابن الكردبوس، الإكتفاء، ج١، ص٣٨٩؛ المقري، المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٦.



المبحث الثالث

متولي خطة المظالم في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة

أ- متولي خطة المظالم وشروط تعيينه:

أولا: متولي خطة المظالم:

كانت تولية المظالم من اختصاصات الأمير أو الخليفة أو من يخوله سلطة المظالم من القضاة، وخصوصًا قاضي الجماعة أو الوزراء أو الحاجب، أو صاحب الشرطة الكبرى أو المحتسب.

فقد عَدَّ ولاة الأمر ـ من الأمراء والخلفاء ـ النظر في المظالم من اختصاصهم، نظرًا لما لهذه المؤسسة من شأن كبير، ودلالة على السلطة، فقد كانوا يتولونها بأنفسهم، وأفردوا لها أيامًا معلومة في الأسبوع، فالأمير الحكم كان أول من استحدث خطة المظالم في الأندلس، وكان له يومان في الأسبوع يجلس للناس فيهما بنفسه، وينظر في مظالمهم، وينصفهم[١].

وكذلك الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ ـ ٩١٢م)، كان يقعد للمظالم، وترفع إليه الظلامات، ويصل إليه الكبير والصغير، وكانت كتب الظلامات تصل إليه على باب من حديد قد صنع لهذا الغرض، وبذلك يتمكن الضعفاء من إيصال مظالمهم عن طريق البطاقات، أما الأقوياء فينهون مظالمهم عن طريق مواجهة الأمير[٢].

وكان يقعد للناس من دون أن يجعل بينه وبين المظلوم سترًا، وكان يباشر أحوال المتظلمين بنفسه[٣].

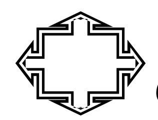
وقد خول الأمراء مباشرة المظالم بيد قاضي الجماعة، والقضاة، فقد أسند الحكم الربضي الى قاضي الجماعة في قرطبة سعيد بن محمد بن بشير المعافري مهمة التحقيق في ما رفعه أهل كورة (جيان) من تظلم على قاضي تلك الكورة، وأوكل إليه بعد

---

(١) ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٨.

(٢) ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٩٨.

(٣) إبن حيان، المقتبس (نسخة ملشورم . إنطوانيه)، ص٣٤، ٣٧؛ إبن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه ، ص١٩٨.



ظهور حقيقة هذا التظلم إقرار القاضي ـ إن ظهر بريئا ـ على تلك الكورة، وعزله عنها إن ظهر عليه ما عزاه إليه أهل تلك الكورة[١].

وهو بهذا يزيد من اختصاص قاضي الجماعة من خلال النظر في المظالم.

أما تولي القضاة خطة المظالم فالنصوص الأندلسية متظافرة على ذلك، وتذكر لنا المصادر أن الحاجب المنصور بن أبي عامر(٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠٢م) أسند خطة المظالم الى بعض القضاة مثل أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت٤٠٢هـ)[٢].

وقد تمتع القاضي صاحب المظالم بمنزلة رفيعة، وأُعطي صلاحيات كبيرة مكنته من الفصل في الظلامات التي تقع على ابناء الدولة، وإرجاع الى كل ذي حقّ حقه، كما كان القاضي مصعب بن عمران الهمداني الذي وقف موقفا صلبا في وجه الأمير الحكم الربضي، وأحد قواده العباس بن عبد الله المرواني، الذي إغتصب ضيعة من رجل بـ (جيان)، وعندما توفي الرجل، رفع أولاده مظلمتهم الى القاضي، وعقد حكمه للقوم بالضيعة، وأنفذه لهم، على الرغم من مطالبات الأمير الحكم بالتريث، وأن يكون هو الناظر فيها[٣].

وكذلك القاضي أبو عبد الله عمر بن عبد الله بن لبيب القبعة الذي أنصف رجلا إغتصبت داره من قبل أحد عمال الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م) [٤].

أما تولي الوزراء خطة المظالم فقد ذكر لنا ابن الفرضيّ (ت٤٠٣هـ) أن الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، ولى أحمد بن محمد ابن سعيد بن موسى بن حُدير (ت٣٢٧هـ) خطة الوزارة وأحكام المظالم[٥].

وأيضا أورد أبو حيان القرطبي أن الحكم المستنصر الثاني (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) أوكل خطة النظر في المظالم الى بعض وزراءه مثل الوزير عبد الرحمن بن موسى بن حدير (ت٣٦٩هـ) [١].

---

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٤.

(٢) إبن بشكوال، الصلة، ص٢٥٧؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٠٢.

(٣) الخشني، المصدر السابق، ص٢٥-٢٦؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٦١-٦٢.

(٤) الخشني، المصدر نفسه، ص٦٥-٦٦.

(٥) تاريخ علماء الأندلس، ص٤٨.

فإذا وصلنا الى الحاجب نجد أن الحاجب المنصور تولى النظر في المظالم في كثير من الأحيان فضلا عن ذلك فقد أسندها الى أحد قضاته كما ذكرنا سابقا، ومن المظالم التي ردها الحاجب المنصور مظلمة التاجر المغربي مع الفتى البورقي خادم المنصور، فقد إختصما، وتوجهت اليمين على الفتى المذكور، فظن أن منزلته عند المنصور تحميه من القسم، فشكا التاجر متظلما بأعلى صوته على ابن أبي عامر وهو في طريقه الى الجامع، فأنصفه منه وعاقب خادمه بنفيه وعزله عن خدمته(٢).

وعن تولي صاحب الشرطة الكبرى منصب صاحب المظالم، فقد أشار ابن خلدون الى أن صاحب هذه الشرطة كانت مهمته تمتد الى كبار الشخصيات وصغارها، وكان من يتولاها يقوم بمحاسبة أهل المراتب السلطانية في الظلامات، وكذلك أقاربهم ومن يعود إليهم من أهل الجاه(٣).

أما عن تولي المحتسب النظر في المظالم فقد نقل لنا ابن سعيد أن رجلًا ظُلِمَ فتقدم بطلب الى الخليفة من دون أن يعرض مظلمته على القاضي أو المحتسب، فأناله الخليفه فيها ردَّ الإعتبار(٤). مما يدلل أن المحتسب كان أيضًا ينظر في المظالم.

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص٨٦.

(٢) إبن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٠٦؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٠.

(٣) المقدمة، ص١٨٧؛ إبن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٨٣.

(٤) المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٢٥.

ثانياً: شروط تعيين صاحب المظالم

يحتاج صاحب المظالم إلى صفة الورع والتقوى والصلابة، والتي تصل أحيانا الى تحدي الأمير وحاشيته، وكذلك أن يكون محمود السيرة(١)، ويشترط فيه أيضا ان يكون مهيبا في الحق(٢)، وكذلك يشترط أن تكون أحكامه شدادًا، وعزائمه نافذة، وأن يكون صلبًا في الحق، ونصرة المظلوم، وقمع الظالم، وله على الظالمين سورة مرهوبة(٣).

وعليه فالنظر في المظالم يحتاج الى قوة في إحقاق الحق، والعدالة في التنفيذ، والمرونة وسعة النظر في تمييز الأمور، مع استعمال الشدة، حتى يتمكن من النجاح في مهمته(٤).

ولقد لخص الماوردي ذلك بقوله: ((إنّ لناظر المظالم من فضل الهيبة، وقوّة اليد، ما ليس للقضاة في كف الخصوم عن التجاحد، ومنع الظلمة من التغالب، والتجاذب))(٥).

إذًا يمكن القول: أنّ من شروط الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج إلى سطوة الحماة، وتثبت القضاة، فيحتاج الى الجمع بين صفاة الفريقين(٦).

---

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٣-٢٤؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٥٩-٦٠.

(٢) إبن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣٢.

(٣) إبن بشكوال، الصلة، ص٢٥٧؛ النباهي، المصدر السابق، ص١٠٢.

(٤) السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد، المؤسسات الإدارية في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار إبن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٩م، ص٣٩٩.

(٥) الأحكام السلطانية، ص١٠٠.

(٦) الماوردي، المصدر نفسه، ص٩٤؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٧٣.

ب ـ مجلس خطة المظالم:

عند انعقاد محكمة المظالم ـ والتي يبدو أنها لا تختلف عن محكمة المظالم في المشرق ـ يجب حضور خمسة أصناف لا يستغني عنهم صاحب المظالم، ولا ينتظم نظره إلا بهم، وهم على النحو الآتي:

١. الحماة والأعوان: للتغلب على من تحدثه نفسه باللجوء إلى القوة، والقبض على من يحاول الفرار بعد أن تثبت إدانته، وغالبًا ما يرأس هذه المجموعة صاحب الشرطة، وكان صاحب الشرطة يحضر مجالس المظالم بصفته رئيس الحماة والأعوان، وبصفته حاكمًا من جملة الحكام، مما يجري أمامه من قواعد الترافع، والشرطة مساعدة لأصحاب المظالم في إقامة الحدود والتعازير، وأشخاص الناس لذلك(١).

٢. القضاة والفقهاء: وذلك للتشاور معهم عندما يشكل على صاحب المظالم مسألة من المسائل الشرعية، أو القانونية، ومثال ذلك أن الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ ـ ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ ـ٨٢٢م)، يحضر مجلسه الخاص بالنظر في المظالم القضاةُ والفقهاء(٢).

٣. الكتاب: لتدوين وكتابة ما يحدث في أثناء الجلسة من أقوال الخصوم، وما توجب لهم أو عليهم من حقوق(٣).

٤. الشهود: ليشهدوا على ما أوجبه من حقّ وأمضاه من حكم(٤).

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٧؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٧٦؛ إبن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص١٥؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٨٧؛ إبن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٨٣؛ السامرائي، المؤسسات الإدارية في المغرب الإسلامي، ص٤٠٤.

(٢) الأحكام السلطانية، المصدر نفسه، ص٩٧؛ أبو يعلى، المصدر نفسه، ص٧٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٨.

(٣) الأحكام السلطانية، المصدر نفسه، ص٩٧؛ أبو يعلى، المصدر نفسه، ص٧٦.

(٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٥–٢٦، ٣٠؛ الماوردي، المصدر نفسه، ص٩٧؛ أبو يعلى، المصدر نفسه، ص٧٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٦٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص١٤٥.

جـ - نظام خطة المظالم:

كان للقضايا والشكاوى والمظام التي تعرض على الأمراء والخلفاء وصاحب المظالم أيام محددة، فالأمير الحكم كان له يومان في الأسبوع يقعد للناس فيهما[١]، وكذلك الأمير عبد الله بن محمد كان يجلس للناس يوم الجمعة للنظر في مظالمهم[٢].

أما الأمراء والخلفاء الآخرين، فكانوا لا يتقيدون بزمان معين مثل الأمير عبد الرحمن الداخل[٣]، وكذلك كان الحاجب المنصور[٤].

أما المكان الذي تبحث فيه الشكاوى فكان المسجد[٥]، وأحيانا كان المكان هو الساباط كما هو الحال عند الأمير عبد الله بن محمد، فقد كان يقعد في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها؛ ليسمع قول المتظلم، كما أنه فتح بابًا في القصر سمّاه باب العدل، يقعد فيه للناس يوم الجمعة، وكان يباشر أحوال المتظلمين بنفسه[٦].

وأحيانًا كانوا لا يتقيدون بمكان معين، مثل الطريق، أو دار الإمارة، كما بينا ذلك في الفصول السابقة.

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٨.

(٢) إبن حيان، المقتبس (نسخة ملشورم . إنطوانيه)، ص٣٤، ٣٧؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٨.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٧.

(٤) إبن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٠٦؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩.

(٥) الخشني، قضاة قرطبة، ص٧١-٧٢.

(٦) إبن حيان، المقتبس(نسخة ملشورم. إنطوانيه)، ص٣٤، ٣٧؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٨.

د ـ إختصاصات صاحب المظالم وما يشتمل عليه نظره:

القسم الأول : النظر في تعدي الولاة على الرعية:

فيتصفح أحوال الولاة؛ ليقويهم إذا أنصفوا وعدلوا، ويكفّهم إن عسفوا، ويستبدلهم، إن لم ينصفوا[1]، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به صاحب المظالم الأمير عبد الرحمن الداخل من النظر في مظلمة وردّها من قبل واليه على إقليم جيان ابنه سليمان على الرجل الكنانيّ، وأن يدفع الدية من بيت المال، وأن يحمله وقومه على الإكرام والبِرّ[2]، وكذلك ردّ الأمير هشام بن عبد الرحمن مظلمة أحد الأفراد الذين أصابهم ظلم وقع من أحد رجال الدولة، وقد إقتص الأمير هشام من هذا العامل أمام الجميع[3].

وكان الأمير هشام يقول: ((إنّ النصفة للمظلوم لا تكون من الظالم دون تسليط الحق عليه، ...، فكانت الزجرة لجميع عماله أبلغ من السوط والسيف))[4].

ومن المظالم التي لها علاقة بهذا الموضوع ما قام به الأمير عبد الرحمن بن الحكم من عزل والي البيرة جابر بن لبيد بعد أن شكته إليه حسّانة التميمية ؛ لعدم تحرير أملاكها، وحملها على البرّ والإكرام كما وقّع لها بذلك الأمير الحكم بن هشام[5].

وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن يبعث بقوم من ثقاته إلى البلاد سرًا يسألون الناس عن سير عمالهم، فإذا إنتهى إليه حيف من أحدهم أوقع به، وأسقطه وأنصف منه، ولم يستعمله بعدُ[6].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٧؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٧٦.

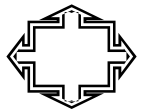
(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٤؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٦٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٣-١٧٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٠-١٢١؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٦٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٣.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢١٢.

(٥) إبن حيان القرطبي، المقتبس، تح الحجي، ص١٠٤-١٠٥.

(٦) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٦٦؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٦٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٧.



القسم الثاني : جور العمال فيما يجبون من أموال:

فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة، فيحمل الناس عليها، ويأخذ العمال بها، وينظر فيما استزادوه، فإن رفعوه إلى بيت المال أمر بردّه، وإن أخذوه لأنفسهم أسترجعه لأربابه(١).

القسم الثالث :كتّاب الدواوين:

فهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه له، ويوفونه منه، فيتصفح أحوال ما وكل إليهم والي المظالم، فإن كان هناك تجاوز من زيادة أو نقصان أعاده الى قوانينه العادلة(٢).

القسم الرابع : تظلم الجند والموظفين من نقص أرزاقهم، أو تأخر عطائهم:

وفيه يتظلم الجند والموظفون من نقص الأرزاق أو العطاء عنهم، وإجحاف النظر فيها، فيرجع فيها إلى ديوان الدولة لغرض العطاء العادل، فيجزيهم عليه، وينظر فيما نقص عنهم أو مُنعَ من قبل، فإن أخذه ولاة أمورهم استرجعه منهم، وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال(٣).

ومن الأمثلة على هذا النوع من التظلم ما رفعه جنود مدينة إشبونة من تظلم على العامل الذي كان مسؤولًا عن مخزن القمح المخصص للجنود، وهو يحيى الغزال، فقد قام بتفريق هذا القمح المخزون للناس بسبب المجاعة، فقام الأمير الحَكم بإصدار قرار عزل يحيى الغزال عن وظيفته(٤).

القسم الخامس : رد الغصوب، وهي صنفان:

أحدهما: غصوب سلطانية قد تغلّب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها، إما لرغبة فيها، وإما لتعدٍ وظلم على أهلها، فهذه الغصوب إن علم بها والي المظالم عند تصفح الأمور أمر بردها قبل التظلم إليه، وإن لم يعلم به، فهو موقوف على

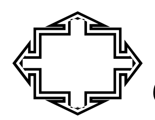
---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٨؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٧٦.

(٢) الماوردي، المصدر نفسه، ص٩٨؛ أبو يعلى، المصدر نفسه ، ص٧٧.

(٣) الماوردي، المصدر نفسه ، ص٩٩؛ أبو يعلى، المصدر نفسه، ص٧٧.

(٤) إبن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، ص١٣٦؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٣.



تظلم أصحابه، ويجوز فيها أن يرجع عند تظلمهم الى ديوان السلطة، فإذا وجد فيها ذكر قبضها على مالكها، عمل عليه وأمر بردها عليه، ولا يحتاج إلى بينة تشهد عليه، وكان ما وجده في الديوان كافيًا(١)، وهذه الغصوب تشمل الأملاك والأراضي وما شابه ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به عامل الأمير الحكم من اغتصاب جارية لرجل من كورة جيان، ورفع الرجل هذا التظلم الى القاضي الناظر في المظالم قاضي الجماعة (سعيد بن محمد بن بشير (ت٢١٠هـ)، وشهد الشهود على معرفة هذا التظلم وعلى عين الجارية، فذهب القاضي الى الأمير الحكم، وتكلم معه في إرجاعها إلى صاحبها، وكان الأمير الحكم قد رفض في بادئ الأمر إرجاعها، ولكنه لمّا رآى عزم القاضي، وصلابة موقفه، أمر بإخراج الجارية من قصره، وشهد الشهود على عينها، وقضى بها إلى صاحبها(٢).

وكذلك تظلم رجل إلى القاضي أبي عبد الله عمرو بن عبد الله بن لبيب القبعة (ت٢٧٣هـ) من عامل للأمير محمد بن عبد الرحمن، كان مرشحًا لمنصب صاحب المدينة، ثم صار بعدها واليًا عليها، فقال للقاضي: أن فلانًا غصبني دارًا، فقال له القاضي: خذ فيه طابعًا، وبعد أن حضر الرجل المشتكى عليه، أجلسه في المسجد مع خصمه، ثم بعد ذلك قال القاضي لجماعة من الأعوان: إذهبوا معه، فإن ردّ إلى الرجل داره، وإلا فردوه إليَّ حتى أكلم الأمير في أمره، وأصف له ظلمه وتطاوله، ثم أنه أعاد إلى الرجل داره(٣).

والصنف الثاني: من الغصوب ما تغلب عليها أصحاب الأيدي القوية، وتصرفوا فيها تصرّف الملّاك بالغلبة والقوة، وهذا الصنف يتوقف على تظلم أهله وأصحابه، ولا ينتزع من يد غاصبه إلا من خلال أحد الأمور الأربعة:

١. اعتراف الغاصب وإقراره.
٢. علم والي المظالم، فيجوز له أن يحكم عليه لعلمه.
٣. بينة تشهد على الغاصب بغصبه، أو تشهد للمغصوب منه بملكه.
٤. تظاهر الأخبار الذي ينفى عنه التواطؤ، ولا يختلج فيها الشكوك(٤).

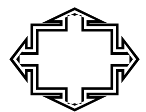
---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩٩؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٧٧.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٤-١٢٦؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٣؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٧٨.

(٣) الخشني، قضاة قرطبة، ص٧١-٧٢.

(٤) الماوردي، المصدر السابق، ص٩٩؛ أبو يعلى، المصدر السابق، ص٧٨.



القسم السادس : تنفيذ ما توقف القضاة عن تنفيذه من أحكام، لضعفهم:

ومن هذه الأسباب عجز القاضي عن المحكوم عليه، لتعززه وقوة يده، أو لعلوّ قدره وعظم خطره، فيكون ناظر المظالم أقوى يدًا وأنفذ أمرًا، فينفذ الحكم على من توجه إليه بانتزاع ما في يده، أو بإلزامه الخروج مما في ذمّته(١).

ومن هذا الأمر يروي لنا الخشني أمثلة للتظلم من أحكام وتصرفات القضاة، من ذلك أن سكان ضاحية جيان شكوا قاضيهم الى الأمير الحكم بن هشام، فأحالهم إلى قاضي الجماعة لفحص الأمر، والتحقق منه، وتوقيع العقوبة المناسبة على القاضي إذا ثبت ذلك التظلم(٢).

ومن ذلك ما ذكره ابن سعيد المغربي أن رجلًا ظُلِمَ فتقدم بطلب إلى الخليفة الناصر لدين الله من دون عرض مظلمته على القاضي فأناله الخليفه فيها ردّ الإعتبار(٣).

يستنتج من هذه الحكاية أن الرجل يتخطى القاضي في مظلمته هذه إلى الخليفة، لأن القاضي يعجز عن رفع مظلمته.

القسم السابع : النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة:

وذلك مثل المجاهرة بمنكر يضعف المحتسب عن دفعه، والتعدي في الطرق، ويعجز عن منعه، والحقوق التي لا يقدر على ردها، فيأخذ صاحب المظالم بحقوق الله في جميعها، ويأمرهم بحمله على موجبها(٤).

وصاحب المظالم هنا أوسع صلاحية، وأشمل وأعم، لأنه ينظر في جميع ما يعرض عليه، ومن ضمنها أعمال المحتسب(٥).

---

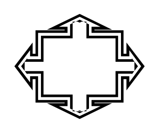
(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٠٠؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٧٨.

(٢) قضاة قرطبة، ص٤.

(٣) المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٢٥.

(٤) الماوردي، المصدر السابق، ص٩٩؛ أبو يعلى، المصدر السابق، ص٧٨.

(٥) الماوردي، المصدر نفسه، ص٢٦٣؛ أبو يعلى، المصدر نفسه، ص٢٨٧.



المبحث الأول

علاقة خطة المظالم بخطة القضاء

القضاء في اللغة والاصطلاح:

القضاء لغةً:

قضى يقضي قَضاءً أي حَكَمَ[1]، فالقَضاءُ: الحُكْمُ، والقضاءُ أصلُهُ القَطْعُ والفَصْلُ، وقَضاءُ الشَيءِ: إحْكامُهُ وإمضَاؤُهُ والفَراغُ منهُ. فالقضاءُ في اللغة على وجوه مرجعُها الى إنقِطاعِ الشَيءِ وتمامه. والقضاءُ: الحَتْمُ والأمرُ[2]. والقضاءُ: الفصلُ في الحُكْمِ، وقضى القاضي بين الخُصومِ، أي قَطَعَ بينهم في الحُكْمِ[3].

نستشفُّ من ذلك أن القاضي هو القاطعُ للأُمورِ، المُحْكِمُ لها، والجمعُ: قُضاةٌ[4]. وأنَّ القضاءَ تأتي لمعانٍ كثيرة، ترجعُ جميعُها الى معنى اللزوم، وإنقطاع الشيء وتمامه، والفراغ منه[5].

القضاءُ إصطلاحًا:

عرف الخشني القاضيِ بأنَّه ((أعظمُ الولاةِ خطرًا بعد الإمام الذي جعله الله زمامًا للدين، وقوامًا للدنيا، لما يتقلده القاضي من تنفيذ القضايا، وتخليد الأحكام في الدماء والفروج والأموال والأعراض، وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار))[6]. وهو ((منصبُ الفصلِ بين الناس في الخصومات حسما للتداعي، وقطعًا للتنازع، إلّا أنَّه بالأحكام الشرعية المُتلقاة من الكتاب والسُنَّة)) [7]، وقيل هو ((صفةُ حُكمية تُوجبُ

---

(١) الفراهيدي، العين، ج٥، ص١٨٥.

(٢) إبن منظور، لسان العرب، مادة (قضى)، ج٤١، ص٣٦٦٥؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٥؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٣٨١.

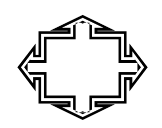
(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٩، ص٣١٠.

(٤) الزبيدي، المصدر نفسه، ج٣٩، ص٣١٥.

(٥) الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، القاهرة، (د.ت) ، ج١٥، ص٥٠.

(٦) الخشني، قضاة قرطبة، ص٢.

(٧) إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٥.



لموصوفها نفوذَ حُكمِهِ الشرعيّ))[١]، و ((حُكمٌ شرعيٌ مستندٌ لولايةٍ سلطانيةٍ)) [٢]، ومنهم من ذكر أنّهُ ((فصلٌ في المنازعات، وقطعُ التشاجر والخُصومات)) [٣]، ويُعَرَّف بأنَّهُ ((الحُكمُ بين الخُصوم بالقانون الإسلامي بكيفية مخصوصة)) [٤].

شروط إختيار القاضي:

للقاضي شروطٌ وخصالٌ مُعتبرة، والتي لا يتمُّ للقاضي قضاؤه إلا بها، وهي : الإسلام، والعقل، والذكورية، والحرية، والبلوغ، والعدالة، والعلم وسلامة حاستي السمع والبصر، من العمى والصمم، وسلامة حاسة اللسان من البُكم[٥].

وقد عقد إبن عبدون فصلًا في أمر القاضي ومعرفة الوجوه التي تصلح له، فقال: ((فمن ذلك يجب للقاضي ... أن يكون جزلًا في قوله، صارما في أمره، مُحِقّا في حكمه، مصونًا عند الناس وعند الرئيس والجمهور، عارفًا بحكم الله؛ فإن الحكم ميزان قسط الله الذي وضع في الأرض لإنصاف المظلوم من الظالم، ولأخذ الضعيف عن القوي، وإقامة حدود الله تعالى عن سُنَنِها.

ولا يُمَكِّن من نفسه، ولا ينبسط مع الفقهاء، ولا مع الأعوان، فإنّ منهم يأتيه الضرر،...، ويجب أن لا يمزح هو مع أحد من حاشيته ولا غيرهم، فتسقط هيبته،

---

(١) إبن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٥٣.

(٢) إبن الأزرق، المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٣؛ الهموندي، جنان عبد الجليل محمد، القضاء والقضاة في المغرب الأدنى الى القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية في الجامعة المستنصرية، بغداد، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٨٥.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٨٧.

(٤) زيدان، عبد الكريم ، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، بغداد، ١٩٨٤م، ص١٣.

(٥) الماوردي، المصدر نفسه ، ص٨١–٨٢؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٦٠–٦١؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٨؛ المالقي، عبد الله بن يوسف بن رضوان (ت٧٨٤هـ)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح سليمان معتوق الرفاعي، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٥٢٤–٥٢٥.

وتنقض عزائمه وتُرَدُّ أوامرهُ،...، ويكون حازما مجتهدًا، مُحتسبا في ذات الله،كأنه في جهادٍ ورباطٍ وحجٍ...، ويجب أن يجلس معه من الفقهاء كلَّ يومٍ...))(١).

وكان ولاة الأمر يؤكدون ويتشددون على خصلتين من بين الخصال الاخرى في شروط الاختيار، وهما العلم والنزاهة، ولذلك قال الإمام مالك: ما أرى خصال القضاء اليوم تجتمع في أحدٍ، فإن إجتمع منها خصلتان ولي القضاء، وهي العلم والورع(٢).

وُجِدَ تقليدٌ قضائيٌ أندلسي، في كتابة عهد تولية القاضي من قبل الوالي، كما حصل للقاضي مهدي بن مسلم(٣)، والذي أكرمه الوالي وأمره أن يكتب لنفسه عهد التولية، وأهم ماجاء فيه:

١. تقوى الله، والتمسك بكتاب الله ، وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
٢. إجراء الحدود، وإعطاء الحقوق.
٣. أن يساوي بين الخصوم، وأن يفهم من كل واحد حجته وما يدلي به.
٤. أن يكون وزراؤه وأهل مشورته من أهل العلم والفقه والأمانة.
٥. أن يسمع من الشهود شهادتهم على حقها وصدقها.
٦. لا يعجل بإمضاء حُكمٍ حتى يستقصي حجج الخصوم وبيناتهم(٤).

وللقاضي واجبات كما هو عليه في المشرق الإسلامي، وهي:

١. قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين.

---

(١) إبن عبدون، محمد بن أحمد (ت في النصف الأول من القرن السادس الهجري) ، رسالة في القضاء والحسبة منشورة ضمن ((ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب))، تح ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٩-١١.

(٢) النباهي، المرقبة العليا، ص١٥؛ السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد، المؤسسات الإدارية في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار إبن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٩م، ص٣٤٨ .

(٣) من أقدم القضاة بالأندلس، إستقضاه على قرطبة عقبة بن الحجاج، وكان من أهل العلم والورع والدين المتين، ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص٨ وما بعدها؛ النباهي، المصدر نفسه، ص٥٨.

(٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص٩-١١؛ النباهي، المصدر نفسه، ص٥٨.

٢. استيفاء الحقِّ لمن طلبه، وتوصيله إلى يده.

٣. إلزام الولاية للسفهاء والمجانين، والتحجُّر على المفلس، حفظًا للأموال.

٤. النظر في الأحباس والوقوف.

٥. تنفيذ الوصايا على شروط الموصي إذا وافقت الشرع.

٦. تزويج الأيامى من الأكفاء إذا عُدِمَ الأولياء، وأردن التزوج.

٧. إقامة الحدود.

٨. النظر في المصالح العامة.

٩. اختيار الشهود، وتفقد الأمناء.

١٠. توخي العدالة بين القوي والضعيف، والشريف والمشروف[١].

وخطّة القضاء في نفسها عند الكافّة من أعظم الخُطط؛ فلا شرف في الدنيا ـ بعد الخلافة ـ أشرف من القضاء [٢].

ومن الجدير بالذكر أنَّ الحاجب المنصور العامري أسند خطة المظالم الى القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت٤٠٢هـ)، مع خطة الوزارة والصلاة وهي صلاحيات واسعة جدا[٣].

ومن خلال بحثنا، وجدنا أن القاضي يتخذ مجلس حكمه في داره، أو في المسجد الجامع، ولا ينظر في أية دعوة إلا إذا عرضت عليه في المجلس[٤]، في حين نجد أن الناظر في المظالم كان لا يتقيد أحيانا في زمان أو مكان معين، كما حدث للأمير الداخل عندما إنصرف من جنازة فتصدى له رجلٌ مُتظلِّم من القاضي، فدعا الخليفة بالقاضي وأمر بإنصافه[٥]؛ وكما جرى مع الحاجب المنصور العامري وهو في طريقه

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص ٨٧-٨٨؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ، ص ٦٥-٦٦؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٩؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٦؛ عباس، رضا هادي، الأندلس رحلة في التاريخ والحضارة، ط١، بغداد، ٢٠٠٨م، ص٥٢.

(٢) النباهي، المصدر نفسه، ص١٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢١٧.

(٣) إبن بشكوال، الَصلة، مج١، ص٢٥٧؛ النباهي، المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص٣٠؛ عباس ، رضا هادي، رحلة في التاريخ والحضارة، ص٥٢-٥٣.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٧؛ ولمزيد من التفاصيل ينظر الفصل الثاني من بحثنا هذا.

الى الجامع، صرخ به التاجر المغربي متظلما له من خادمه الفتى البورقي، فقام الحاجب بإنصافه ومعاقبة خادمه[١].

إن أغلب القضاة يتم تعيينهم من قبل الأمراء و الخلفاء الذين حكموا الأندلس، ويترشح من قبل الوزراء والفقهاء، أو من قبل سكان المدن والقرى[٢].

أما تولية المظالم فكانت من اختصاص الأمير أو الخليفة أو نائبه، أو من يخوله سلطة المظالم، من الوزراء وقضاة الجماعة، لأن ولاة الأمر يعتقدون أن النظر في المظالم من اختصاصهم، نظرًا لأهمية هذه المؤسسة، ومالها من دِلالةٍ وأهدافٍ سياسية، فقد كانوا يتولونها بأنفسهم، وأفردوا لها ـ أحيانا ـ أيامًا معلومة في الأسبوع يجلسون فيها إلى الرعية لبحث مظالمهم، فقد كان للأمير الحكم بن هشام الربضيّ (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م) يومان في الأسبوع ، يجلس فيهما الى العامة، وينظر في أمورهم ومظالمهم، ويحضر مجلسه القضاة والفقهاء[٣].

إنَّ لناظر المظالم من فصل الهيبة وقوة اليد، ما ليس للقضاة، بل أحيانًا تتوجه المظلمة ضد القاضي، فيقوم الناظر في المظالم بإنصاف المشتكي، كما أسلفنا قبل قليل فيما حدث للأمير الداخل عندما اشتكى رجل على القاضي فأنصفه منه، لكن على الرغم من ذلك وجدنا الأمير هشام بن عبد الرحمن يقف الى جانب القضاء ضد أحد رجاله بخصوص دار أخرجه منها أحد قضاته (مصعب بن عمران) قائلًا له: ((والله لو سجَّل عليَّ القاضي في مقعدي هذا لخرجت عنه)) [٤].

ونود الإشارة الى أن الناظر في المظالم كان لا يتعجل في إصدار الحكم، بل كان يتروى ويتحقق من الشكوى من خلال إرسال معتمديه من العدول للتثبت من المظالم،

---

(١) إبن خاقان ، مطمح الأنفس، ص٢٠٦؛ إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٠، ولمزيد من التفاصيل ينظر الفصل الثالث من بحثنا هذا.

(٢) الخشني، قضاة قرطبة، ص٣،٤، المقدمة العامة (ز) ؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٦١ ، ٦٣ ، ٧١؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٥.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٧٨.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢١، ص٦٦؛ وللتفصيل أكثر ينظر الفصل الثاني.

التي ترفع ضد القضاة أو العمال أو غيرهم، من ذلك تظلَّم رجلٌ من أهل كورة جيان على قاضي تلك الكورة الى الأمير الحكم الربضيّ، فأرسل الأمير قاضي الجماعة في قرطبة سعد بن محمد بن بشير المعافري لينظر ويتحقق من هذا المنسوب الى القاضي(١).

أوردت المصادر التاريخية مسائلًا يختلف فيها كل من صاحب ردّ المظالم والقاضي، وهي على النحو الآتي:

١. إن لناظر المظالم من فصل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقاضي، في كفِّ الخصوم عن المبالغة في إنكار الحق من كلا الجانبين، ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب.
٢. إن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب الى سعة الجواز، فيكون الناظر فيه أفسح مجالا وأوسع مقالا.
٣. يستعمل ناظر المظالم من الإرهاب، وكشف الأسباب، بالأمارات الدالة، وشواهد الأحوال اللائحة، ما يضيق على الحكام، فيصل به الى ظهور الحق ومعرفة المُبطل من المحق.
٤. يقابل ناظر المظالم من ظهر ظُلمُه بالتأديب، ويأخذ مَنْ بانَ عُدوانُه بالتقويم والتهذيب.
٥. لناظر المظالم إستمهال الخصوم، وتأجيل الفصل في النزاع عند إشتباه الأمر وإستبهام الحق، ليمعن في الكشفِ عن أسباب وأحوال الخصوم، ما ليس للقضاة، فليس للقاضي إذا سأله أحد الخصوم الفصل والحكم أن يؤخر الفصل أو يستمهل الخصم.
٦. لناظر المظالم ردُ الخصوم إذا إستعصى التوفيق بينهم الى وساطة الأمناء، ليفصلوا في التنازع بينهم صلحًا عن تراضٍ، وليس للقاضي ذلك إلا عن رضى الخصمين.

---

(١) الخشني، قضاة قرطبة، ص٤؛ وللإستزادة أكثر ينظر الفصل الثاني.

7. لناظر المظالم أن يفسح في ملازمة الخصمين إذا وضحت أمارات التجاحد، ويلزم بالكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم الى التناصف ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب.
8. لناظر المظالم أن يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة في شهادة المعدلين.
9. لناظر المظالم إحلاف الشهود، عند إرتيابه بهم، إذا بدلوا أيمانهم طوعًا، ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك، وينفي عنه الإرتياب وليس ذلك للقضاة.
10. يجوز لناظر المظالم أن يبتدئ بإستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم من تنازع الخصوم، ومن عادة القضاة تكليف المدعي أن يُحضِرَ بينة، ولا يسمعون البينة إلا بعد سؤال الخصوم(١).

وعلى الرغم مما ذكرناه من أوجه الإختلاف بين الناظر في المظالم والقاضي، يبقى هدفهما مشترك ، وغايتهما واحدة، وهي ((إقامة الحق ونُصرته وإبانته وإنارته))(٢).

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٠٠-١٠١؛ إبن رضوان المالقي، الشهب اللامعة، ص٥٢٧-٥٢٨؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٦؛ اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٩٤؛ عبد المنعم ، حمدي، ديوان المظالم ، ص٢١٣-٢١٤؛ عباس، رضا هادي، القضاة والقضاء في الأندلس من الفتح حتى مملكة غرناطة، أطروحة دكتوراه باللغة الإسبانية، غير منشورة، جامعة غرناطة، غرناطة، إسبانيا، ١٩٨٠م، ص١٨٠-١٨١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٢٥٢.

المبحث الثاني

علاقة خطة المظالم بخطة الحِسبة.

الحسبة في اللغة والاصطلاح:

الحسبة لغةً:

الحِسبة (بكسر الحاء) مصدر إحتِسابك الأجر على الله، تقول: فَعلتَهُ حِسبةً، وإحتسب فيه إحتسابا، وإحتسب فلان إبنا أو إبنة إذا مات وهو كبير، وإذا مات وله ولد وهو صغير لم يبلغ الحلم، يقال أفرطه، وفي الحديث ((من مات وله ولد إحتسبه...))، فالحِسبة بالكسر هو الأجر، وإسم من الإحتساب، كالعِدّة من الإعتداد، أي إحتساب الأجر على الله، والإحتساب طلبُ الأجر[١].

أما الحِسبة إصطلاحًا فهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[٢]، قال تعالى :. [**ولتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ الى الخَيرِ وَيأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهِونَ عَنِ المُنكَرِ**][٣]

نستطيع القول أن الحسبة وظيفة دينية مدنية، بنيت قاعدتها على أساس المبدأ الإسلامي المعروف (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١]، والتي إستمدت أسسها من

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت ٣٩٩ هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح احمد عبد الغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص١١٠؛ إبن منظور، لسان العرب، مج٢، مادة حسب، ص٨٦٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢، مادة حسب، ص٢٧٥.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢١٠؛ إبن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت في النصف الأول من القرن السادس الهجري)، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تح ليفي بروفنسال، منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، ١٩٥٥، ص٦٩؛ إبن الأخوة، ضياء الدين أحمد بن محمد (ت ٧٢٩هـ)، معالم القربة في أحكام الحسبة، علق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص١٣؛ الجرسيفي، عمر بن عثمان بن عباس (لا يعرف تاريخ وفاته)، رسالة في الحسبة، (تح) ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان ((ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب))، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥، ص١١٩؛ عبد الكريم فريحات وآخر، مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط١، الناشر دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩م، ص٨٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية/١٠.

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال تعالى : **[ولتَكُن منكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ الى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهونَ عَنِ المُنكَرِ وأولئكَ هُمُ المُفلِحونَ]**[٢]، ومن السنة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[٣]

لم ترد في القرآن الكريم لفظة (الحِسبة)، وإنما جاءت آيات قرآنية معناها يدل على ما تدل عليه الحسبة في الإصطلاح، منها الآيات المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقوله تعالى :**[يُؤمِنونَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخرِ ويأمُرونَ بالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ]** [٤]، وغيرها كثير[٥].

ومنها الآيات التي تؤكد على ضرورة ضبط المكاييل والموازين حفاظا على الصالح العام، قال تعالى: **[وَيلٌ لِلمُطَفّفِينَ الّذينَ إذَا إكتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَستَوفُونَ]** [٦]، فالآية نزلت عند قدوم النبي (r) الى المدينة، إذ كان أهلها إذا إبتاعوا كيلا أو وزنا إستوفوا وأفرطوا، وإذا باعوا كيلا أو وزنا نقصوا[٧]، وقوله تعالى: **[وَمِن أهلِ الكِتَابِ**

---

(١) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦ م، ص٦؛ إبن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص٦٩؛ إبن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن السلام (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م)، الحسبة في الإسلام، مطبعة القاهرة، القاهرة، ١٤١٨هـ ، ص٤٥؛ . إبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تح محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٢٣٧؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٨؛ الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص١١٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية / ١٠٤.

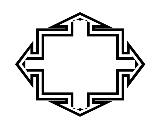
(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص٦٩.

(٤) سورة آل عمران: الأية /١١٤.

(٥) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، ط٣، ذوي القربى، مطبعة ظهور، ايران، ١٣٨٤هـ، ص٨٩١-٨٩٢.

(٦) سورة المطففين: الآية / ١.

(٧) الفراء، ابو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تح محمد علي النجار وآخر، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣، ج٣، ص٢٤٥.



مَن إن تأمَنهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إلَيكَ، وَإنّ مِنهُم مَن إن تأمَنهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إلَيكَ إلّا مَا دُمتَ عَلَيهِ قَائِماً] [١]، أي أنهم لم يراعوا الحقوق المشرعة عندهم، كأكل مال الغير، وهضم حقوق الناس[٢].

إن وجود مثل هذه الادلة من الآيات حفزت على إنضاج فكرة وجود جهاز إداري تنظيمي يتفقد الأسواق، ويراقب المكاييل والموازين، ويتأكد من دقتها، ويقضي على أساليب الغش التي يمارسها الصناع وأهل الحرف، ومن هنا ازدادت الحاجة الى وجود منصب الحسبة والعامل على السوق[٣].

لم يطلق الأندلسيون مصطلح (الحسبة) على ما يتعلق بشؤون السوق في أول الامر، بل كان يطلق عليها اسم (أحكام السوق)، حتى فترة زمنية متأخرة، يدل على ذلك ما وسمه يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ) لكتابه بـ (أحكام السوق)[٤]. وكذلك ما نص عليه إبن بشكوال (ت٥٧٨هـ) في ترجمته للمحتسب ابن المشاط الرعيني القرطبي[٥](ت٣٩٧هـ)، إذ قال: ((وولاه ـ أي المنصور بن أبي عامر ـ أحكام الحسبة المدعوة عندنا بولاية السوق))[٦].

إهتم أهل الأندلس إهتماما بالغا بنظام الحسبة، ويتضح ذلك من قول المقري: ((لهم في أوضاع الإحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها، كما تتدارس أحكام الفقه،

---

(١) سورة آل عمران: الآية / ٧٥.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط١، منشورات مؤسسة المجتبى للمطبوعات، إيران، ١٤٢٥هـ، ج٣، ص٣٠١.

(٣) إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٨-١٦٩.

(٤) موضوع الكتاب آراء وفتاوى للفقيه يحيى بن عمر، تتعلق بالمعاملات اليومية للناس، وما يعرض لهم في مرافقهم وأسواقهم وبيعهم وشرائهم، وما الى ذلك، وهي تدخل في نطاق الكتب والرسائل القليلة التي نعرفها اليوم عن الحسبة.

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن عبيد الله، من أهل قرطبة، يكنى أبا المُطَرِّف، وكان من أهل العلم والفهم والمعرفة، إتصل بالمنصور محمد بن أبي عامر فأدناه وقربه، توفي في أيام المظفر بن عبد الملك بن أبي عامر. ينظر : إبن بشكوال، الصِّلة في تاريخ علماء الأندلس، مج١، ص٢٥٤.

(٦) إبن بشكوال، المصدر نفسه،مج١، ص٢٥٤.

لأنها تدخل عندهم في جميع المبتاعات))[1]، فضلا عن ذلك فإنها تأتي . من حيث الأهمية . بعد القضاء، وهذا ما وضحه الجرسيفي بقوله : ((إن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين، وليس بعد خطة القضاء أشرف من خطة الحسبة))[2].

وقد وضحت المصادر الأندلسية للشروط الواجب توافرها في المحتسب، وواجباته، وهي على النحو الآتي:

أولا- الشروط الواجب توفرها في المحتسب:

١.أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة، ليعلم ما يأمر به، وما ينهى عنه، وأن يعمل بما يعلم، ولا يكون قوله مخالفا لفعله،

٢.أن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى، وطلب مرضاته، وينبغي له أن يكون مواظبا على سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

٣. أن يكون مسلمًا حرًّا بالغًا عاقِلًا عَدلًا أندلسيًا.

٤.يجب عليه أن يكون عارفًا بأمور الناس وطبقاتهم، عادلا في الحكم حسن السيرة.

٥.ينبغي له أن يكون من شيمته الرفق، ولين القول، وطلاقة الوجه، وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيه، فإن ذلك أبلغ في إستمالة القلوب، وحصول المقصود.

٦.يلزم له أن يكون عفيفًا عن أموال الناس، متورعًا عن قبول الهدية من المتعيشين وأرباب الصناعات، لأن ذلك يُعَدُّ رِشوة[4].

---

(١) نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٢) الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص١١٩.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٦-٨؛ الجرسيفي، المصدر نفسه، ص١٢٠.

(٤) الشيزري، المصدر نفسه، ص٩-١٠؛ إبن عبدون، محمد بن أحمد (توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري)، رسالة في القضاء والحسبة، منشور ضمن ((ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب))، تح ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٢١٨؛ إبن الأخوة، معالم القربة، ص١٣-١٤،١٧-٢٠.

ثانيا- واجبات المحتسب:

١.ان يتفقد الأسواق، ويراقب المكاييل والموازين، وأن يستتيب من يظهر عليه البخس في الميزان، أو التطفيف في الكيل، أو التدليس في مبيع أو ثمن، أو الغش في البضاعة والصناعة، وينذره العقوبة والتعزير.

٢.أن يجعل لأهل كل صنعة عريفًا من صالح أهلها، خبيرًا بصناعتهم، بصيرا بغشوشهم وتدليساتهم، مشهورًا بالثقة والأمانة،وأن يطلع المحتسب بأخبارهم، وما يُجلَبُ الى سوقهم من السلع والبضائع،وما تستقر عليه من أسعار.

٣.أن يمنع إحتكار الطعام من بين سائر الأقوات، وإذا وجد ذلك، ألزمه بيعه إجبارًا، وأن يمنع تلقي الركبان خارج البلد، وأخبارهم بكساد ما معهم ليبتاع منهم رخيصًا[١].

٤.ينبغي له أن يمنع أحمال الحطب وأعدال التبن من الدخول الى الأسواق لما فيه من الضرر بلباس الناس.

٥.لا يجوز لأحد إخراج جدار داره أو دكانه الى الطريق المعهود، كما لا يجوز التطلع على الجيران من السطوحات والنوافذ، ومن فعل ذلك عزره المحتسب.[٢]

ما يهمنا بهذا الصدد هو علاقة الحسبة بخطة المظالم، فالحِسبة هي واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم[٣]، كما أن بينهما ((شبه مؤتلف، وفرق مختلف))[٤].

أما الشبه الجامع بينهما فمن أوجه:

---

(١) يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ)، أحكام السوق، تح محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد ١-٢، المجلد الرابع، ١٣٧٥هـ . ١٩٥٦م، ص٤٥-٤٦؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص٩ ،١٢؛ إبن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص ٨٤،٨٦،٨٨،٩٢؛ إبن الأخوة، المصدر نفسه، ص٦٧-٦٩؛ الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص١٢٠.

(٢) الشيزري، المصدر نفسه، ص١٣-١٤؛ إبن الأخوة، معالم القربة، ص٧٨-٧٩؛ الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص١٢٢؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٨.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٦١؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٢٨٥؛ ابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة، ص٥٢٨.

(٤) الماوردي، المصدر نفسه، ص٢٦٢؛ أبو يعلى، المصدر نفسه، ص٢٨٦.

١. أن موضوعهما واحد، وهو صلاح المجتمع، وإقرار الحق، وتحقيق العدالة.
٢. كلاهما يتشابهان في أن لهما أصلا شرعيا من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.
٣. إن موضوعهما مستقر على الرهبة المختصة بهيبة السلطنة، وقوة الصرامة.
٤. جواز التعرض لأسباب المصالح، والتطلع الى إنكار العدوان الظاهر[١].

أما الفرق بينهما فمن وجوه:

١. إن الحسبة داخلة في عموم ولاية القاضي، يولي فيها باختياره، أما الناظر في المظالم فيتم تعيينه من قبل الخليفة أو الأمير حصرًا.
٢. إن الحسبة ليس فيها سماع بينة أو إنفاذ حكم، وإنما المحتسب يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها، أما الناظر في المظالم، فلا يحكم إلا فيما يرفع إليه من شكاوى، وما يتضمن ذلك من شهود وأدلة[٢].
٣. إن عمل المحتسب هو تفقد الأسواق، ومراقبة المكاييل والموازين، والتأكد من دقتها، ومن أساليب الغش والتدليس الذي يمارسه أصحاب الحرف والصنائع المختلفة، في حين أن الناظر في المظالم لا تدخل هذه الأمور من ضمن اختصاصاته، وإنما واجبه هو إستقبال الشكاوى والظلامات من قبل الرعية والفصل فيها، وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم، وإزالة الظلم أيّا كان نوعه.

---

(١) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص٤٥؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٢٦٢؛ ابو يعلى ، الاحكام السلطانية، ص٢٨٦–٢٨٧؛ إبن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥؛ إبن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص٦٩؛ إبن الأخوة، معالم القربة، ص١٦؛ إبن خلدون، المصدر السابق، ص١٦٨؛ الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص١١٩.

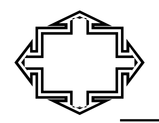
(٢) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص٤٥–٤٦، ٧٦؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٨–١٦٩؛ الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص١٢٠ ،١٢٣.

٤. يستطيع ناظر المظالم أن يحكم في جميع ما يعرض عليه، ومن ضمنها أعمال المحتسب، بينما لا يجوز للمحتسب أن يحكم فيما لا يدخل ضمن اختصاصاته، فصاحب المظالم صلاحياته أشمل وأعم.

٥. يمكن لناظر المظالم أن ينظر في أية أمور يعجز القضاة عن النظر فيها، في حين أن المحتسب ينظر في قضايا ترفع الى القاضي للنظر فيها، فمنزلة والي المظالم ـ إذّا ـ أعلى من منزلة القاضي و المحتسب، لذلك يجوز لناظر المظالم أن يوقع ويصدر تعليماته، وأمره على كليهما[١].

---

(١) يحيى بن عمر، المصدر نفسه، ص ٧٢ ، ٧٤؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٦٣؛ أبو يعلى، الاحكام السلطانية، ص٢٨٧؛ إبن الأخوة، معالم القربة، ص١٦؛ إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٩؛ المعاضيدي، خاشع، تاريخ العرب في الأندلس، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢٥٥.



المبحث الثالث

علاقة خطة المظالم بخطة الشرطة

الشرطة في اللغة والاصطلاح:

الشَرَط: العلامة، وأشراطُ الساعةِ: عَلاماتُها، والشُرْطِيُّ منسوبٌ الى الشُرطَةِ، والجميع: شُرَطٌ(١).

ويكشف لنا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) سبب تسمية الشُرطة بهذا الإسم، فقال: ((والشُرَطُ سُمُّوا شُرَطًا، لأن شُرطَةَ كُلِّ شيءٍ خَيارهُ، وهم نُخبةُ السلطان من جُندِه)) (٢).

والأشراطُ: الأراذلُ، يقال: الغنم أشراطُ المالِ. والأشراط أيضًا: الأشرافُ، وهو من الأضداد(٣).

واشرط نفسه لكذا وكذا، أي أعلمها له وأعدَّها، قال الأصمعي: ومنه سُمِّيَ الشُرَطُ شُرَطًا؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم عَلَمًا يُعرفون به. ومنه أشراط الساعة، أي علاماتها، قال تعالى : [فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا] (٤)، قال أبو عبيدة: سمُوا شُرَطًا لأنَّهُم أُعِدُّوا(٥). وقال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): ((والشُرَط قيل: سُمُّوا بذلك لكونهم ذوي علامة

---

(١) الفراهيدي، العين، ج٦، مادة (شرط)، ص٢٣٥؛ الجوهري، الصحاح، ج٣، مادة (شرط)، ص١١٣٦؛ إبن منظور، لسان العرب، مج٤، مادة (شرط) ص٢٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٣٥.

(٣) إبن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق (ت ٢٤٤هـ)، إصلاح المنطق، تح أحمد محمد شاكر، وآخر، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص٦٨؛ الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١١٣٦.

(٤) سورة محمد: الاية /١٨.

(٥) إبن السكيت، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ الجوهري، المصدر السابق، ج٣، ص١١٣٦؛ إبن منظور، المصدر السابق، مج ٤، ص٢٢٣٦؛ الزبيدي، تاج العروس، تح عبد العليم الطحاوي، ج١٩، ص٤٠٨.

يعرفون بها، وقيل: لكونهم أرذال الناس)) [١]، لأن الشرطة يحتكون بأراذل الناس، وسفلتهم من اللصوص ونحوهم[٢].

نخلُص من ذلك الى أنَّ الشرطة قد تكون أُخِذت وأُشتُقت وتسمَّت بذلك، لأن المقصود بهم خيارُ الجُندِ، أو أراذلُ الناسِ، أو لأنهم اتخذوا لأنفسهم علمًا خاصا يعرفون به، أو لأنهم أُعِدُّوا إعدادًا خاصًا، أو لأنهم أصحاب علامات خاصة بهم.

والشرطة هم الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في ((إستتباب الأمن وحفظ النظام، والقبض على الجناة والمفسدين)) [٣]، وقال إبن خلدون : ((وكان أيضا النظر في الجرائم وإقامة الحدود في الدولة العباسية والأموية في الأندلس، والعبيديين بمصر والمغرب، راجعا الى صاحب الشرطة، وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول)) [٤].

ويسمى صاحب الشرطة في دولة أهل الأندلس بـ (صاحب المدينة) [٥]، وذهب محمد عبد الوهاب خلاف الى أن صاحب المدينة غير صاحب الشرطة، وإن كانت هناك علاقة بينهما، ((فصاحب المدينة يرأس صاحب الشرطة جهازه التنفيذي، وصاحب المدينة هو الذي يستخدم سلطة جهاز الشرطة في التحقيقات المدنية ... فهما وظيفتان كانتا توجدان في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجري منفصلة إحداهما عن الأخرى)) [٦].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٣٤؛ إبن منظور، لسان العرب، مج٤، ص٢٢٣٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٥، مادة (شرط)، ص٤٥٠.

(٢) القلقشندي، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٥٠؛ خلاف، عبد الوهاب، صاحب الشرطة في الأندلس، ص٧٢.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد ٢٩٢هـ)، التاريخ، جزءآن، طبعة بريل ليدن، ١٨٨٣م، مج٢، ص٥٨٥.

(٤) المقدمة، ص١٦٦.

(٥) إبن خلدون، المصدر نفسه، ص١٨٧؛ إبن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٨٢.

(٦) خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، ص٧٢.

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ/٨٢٢ ـ ٨٥٣م)، هو الذي ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة فأفردها وصيّر لواليها ثلاثين دينارًا في الشهر، ولوالي المدينة مائة دينار[١].

ويرى إبن خلدون أن الشرطة كانت تنقسم في دولة بني أمية في الأندلس الى صنفين فقط هما الشرطة الكبرى والشرطة الصغرى[٢]، وكانت مهمة الشرطة الكبرى تمتد الى كبار الشخصيات وصغارها، وكان لمن يتولاها أن يسأل أهل المراتب السلطانية، ومحاسبتهم في الظُلامات، وكذلك أقاربهم ومن يعود إليهم من أهل الجاه، أما صاحب الشرطة الصغرى فجُعِل حكمها مخصوصا بالعامة فقط[٣].

ونجد في أحداث القرن الرابع الهجري أن صاحب المدينة كان مستقلًا عن صاحب الشرطة[٤]، وذكر إبن خلدون أن الشرطة الكبرى لم تكن توكل الّا للشخصيات الكبرى، وكان من يليها يرشح للوزارة والحجابة[٥].

وربما يحكم صاحب الشرطة . إذا كان عظيم القدر عند السلطان . بالإعدام دون الرجوع الى الحاكم[٦].

ومن السمات التي يجب أن يتحلى بها صاحب الشرطة أن يكون ((رجلًا خيِّرا، عفيفًا، غنيًّا، عالمًا، متحنِّكًا في علوم الوثائق ووجوه الخصومات، ويكون ورِعًا لا يرتشي ولا يميل، ويجري في حكمه وأمره الى الحق والإعتدال، ولا يخاف في الله لومة لائم، ويكون أكثر جريه في حكمه الى الإصلاح بين الناس، ويُضرَب

---

(١) إبن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٨.

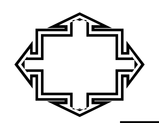
(٢) إبن خلدون، المقدمة، ص١٨٧؛ إبن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٨٣، وهناك من يذهب الى وجود (شرطة وسطى) كانت تنظر في القضايا المشتركة بين الفئتين . ينظر: إبن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٤.

(٣) إبن خلدون، المصدر نفسه، ص١٨٧؛ إبن الأزرق، المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٣.

(٤) إبن حيان القرطبي، المقتبس، تح الحجي، ص٦٦؛ خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، ص٧٣.

(٥) إبن خلدون، المصدر السابق، ص١٨٧؛ إبن الأزرق، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٣.

(٦) إبن عذارى، المصدر السابق، ج٣، ص٥٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢١٨.



له في بيت المال أُجرة تقوم به لإستلزامه ذلك، وتركه ما يلزمه من امر معيشته والنظر في أموره))(١). كما ذُكِرَ أنه يجب على الإمام أن يولي ذلك الأمر رجلًا ((ثِقَةً ، دَيِّنًا، صارمًا في الحقوق والحدود ، متيقظًا، غير مغفّل)) (٢).

أما المكان الذي كان يمارس فيه صاحب الشرطة وظيفته فيه فقد تحدث إبن عبدون عن ذلك، فقال: ((ويجب ... أن لا يحكم في داره، بل في المسجد الجامع، أو في موضع يُتَّخذ له)) (٣).

يوجد بين الشرطة والنظر في المظالم علاقة، فما بين الأثنين أوجه شبه وإختلاف، فهما يتشابهان في أنهما موضوعان للنصفة وإقرار الحقِّ، ونصرة المظلوم، ومساعدة الضعيف، فهدفهما مشترك، كونهما يهدفان الى رفع الضيم والظلم عن عامة الناس، وكذلك من خلال سعيهما الجاد لإقامة العدل، وتحقيق الأمن لجميع الناس(٤)، وربما يكون هذا أحد الأسباب التي تفسر لنا إقتران خطة المظالم بخطة الشرطة، وإسنادهما الى شخص واحد، كما ذكر ذلك إبن حيان ، فقد أشار إلى أن الخليفة الناصر كلف أحمد بن عبد الملك بن شُهيد بخطة الشرطة وخطة المظالم في آن واحد، وكان يعرف بـ (المثنى الوزارة) (٥).

وكذلك يتشابهان بأنهما وظيفتان دينيتان شرعيتان، إذ أن الناظر في المظالم يهتم بالنظر في المظالم وإزالتها، وإقامة حدود الله، وإنصاف المظلومين ولو من أنفسهم،

---

(١) إبن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص١٣؛ عبد الحميد السامرائي، المؤسسات الإدارية في المغرب الإسلامي، ص٤٢٧.

(٢) إبن رضوان المالقي، الشهب اللامعة، ص٥٢٩؛ إبن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٨٤.

(٣) إبن عبدون، المصدر السابق، ص١٥؛ خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، ص٢٨٤.

(٤) إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٦؛ جاسم، عطا سلمان، ديوان المظالم، ص٢٣٧؛ العزاوي، مهند أحمد عبد المحسن، الشرطة في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس (٩٢ ـ ٤٢٢هـ) / (٧١١ ـ ١٠٣١م)، رسالة ماجستير معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ص١٦٠-١٦١.

(٥) المقتبس، ج٥، ص٤٧٠-٤٧١؛ جذوة المقتبس، ص١٣٢.

تنفيذا لأوامر الشريعة الإسلامية، فضلًا عن ذلك أن صاحب الشرطة يقيم الحدود والتعازير، وينظر في الجرائم وهي وظيفة دينية شرعية(١).

ومن أوجه الشبه بينهما أنَّ لكليهما الحق في النظر في القضايا والمظالم الواقعة من دون انتظار متظلم بها، أو شكوى يقدمها الشخص المُعتدى عليه، فكلاهما يعتمد على التقارير المقدمة اليهما من أعوانهما، فالشرطة تقوم بذلك لقطع موارد الفساد، وحسم أبواب الدعارة، وتخريب مواطن الفسوق، وتفريق مجامعه، مع إقامة الحدود الشرعية والسياسية ، وكذلك بالنسبة للناظر في المظالم فقد ذُكِر مثلا أن للأمير الحكم بن هشام كان له عيونٌ يطالعونه بأحوال الناس، والأمر عينه بالنسبة إلى الحاجب المنصور فقد كانت له ((عيون في الليل والنهار لايقع امر من الأمور حتى يعلم به)) وله كاتب يدور في الضواحي يترصد ما يجري من قصة أو حدث فيكتب ذلك ويرسله إليه لينظر فيه(٢).

إما أوجه الاختلاف بين النظر في المظالم والشرطة فتتمثل في كون إن الناظر في المظالم أوسع سلطة وأكثر صلاحية من الشرطة ، إذ إن الناظر في المظالم هو صاحب السلطة العليا في المجتمع متمثلا بالخليفة نفسه أو من أوكل إليه النظر في المظالم ، قال ابن خلدون عن صاحب الشرطة:((هي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان))(٣) وقد كان لولاة الأمر تعيين صاحب الشرطة، والخلع عليه(٤).

---

(١) إبن خلدون، المقدمة، ص١٦٦؛ عبد الحميد السامرائي، المؤسسات الإدارية في المغرب، ص٤٣٠.

(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص ١٣-١٤، ابن الخطيب الغرناطي، أعمال ألاعلام، ج٢، ص٧٢؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٩٥؛ ابن خلدون، المقدمة،ص١١٨؛ العبر،ج٤،ص١٥٣؛ حسن، حسن ابراهيم تاريخ الإسلام السياسي ،ج١،ص٤٦٠؛ عبد الحميد السامرائي ،المؤسسات الادارية في المغرب الإسلامي ،ص٤٣٠-٤٣١؛ جاسم ،عطا سلمان، ديوان المظالم، ص٢٣٧.

(٣) ابن خلدون ،المصدر نفسه، ص١٨٧؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج١،ص٢٨٢؛ جاسم، عطا سلمان، المرجع نفسه، ٢٣٨.

(٤) عبد الحميد السامرائي ، المرجع السابق ، ص٤٢٧.

وكذلك من أوجه الاختلاف بين النظر في المظالم والشرطة إن صاحب الشرطة كان يحضر مجالس القضاء أو المظالم بصفته رئيس الحماة والأعوان، وبصفته حاكما من جملة الأحكام(١) مما يجري إمامه من قواعد الترافع وأصول الإحكام كما إن الشرطة مساعد للحاكم وأصحاب المظالم في إقامة الحدود والتعازير ، وأشخاص الناس لذلك ، وكانت الساعد الأيمن لولاة الأمر ، قال ابن خلدون((ونصب لصاحب الشرطة الكبرى كرسي بباب دار السلطان ، ورجال يتبوءون المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها إلا في تصرفه))(٢) وكان للحاجب المنصور بن أبي عامر صاحب شرطة خاصّ به يعمل على معونته لحبس من يأمر بحبسه وإطلاق من يأمر بإطلاقه (٣)

وأيضا إن توليه النظر في المظالم كانت مختصة بالأمير أو الخليفة أو نائبه أو من يتم تخويله سلطة النظر في المظالم من الوزراء وقضاة الجماعة ، إما الشرطة فلم تكن ولايتها عامة ،وإنما غالبا ما كان يعهد بها إلى رجالات الأسرة الحاكمة ممن يكن له حضا من التنويه فكانت ((ولايتها للأكابر من رجال الدولة حتى كانت ترشيحًا للوزارة والحجابة))(٤).

بقي القول إن صاحب الشرطة في القرن الرابع الهجري ربما كلف بأشياء أخرى بعيدة عن الاختصاصات المتعلقة بممارسته تنفيذ العدالة ، فكان قائد الشرطة أحيانا يقود الجيش، فقد أمر ((الناصر صاحب الشرطة القائد احمد بن يعلي بالخروج غازيا بالأسطول إلى بلد الشيعي معد بن إسماعيل صاحب إفريقيا))(٥). وهذا الأمر لم نعهده في الناظر في المظالم في حدود اطلاعنا.

---

(١) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة ،ص١٥،عبد الحميد السامرائي ،المؤسسات الادارية في المغرب الإسلامي ، ص٤٢٧.

(٢) المقدمة، ص١٨٧؛ ابن الأزرق، بدائع السلك،ج١، ص٢٨٣.

(٣) ابن خاقان، مطمح الانفس ص٢٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٤٠٩-٤١٠؛ وللتفصيل ينظر الفصل الثالث .

(٤) المصدر السابق، ص١٨٧ ؛ ابن الأزرق، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٨٣ ،عبد الحميد السامرائي ، المؤسسات الادارية في المغرب الإسلامي ،ص٤٣١.

(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ج٢ ، ص٢٣٨؛ خلاف صاحب الشرطة في الأندلس، ص ٧٤.

المبحث الرابع

علاقة خطة المظالم بخطة الحجابة

الحجابة لغة واصطلاحا :

الحجب((كلُّ شيءٍ منع شيئًا من شيء فقد حجبه حجبا، والحجابة: ولاية الحاجب))[1] والحَجبُ والحِجابُ المنعُ من الوصول ، يقال : حَجَبَهُ حجبًا وحجابا ، وقوله تعالى [**حَتَّى تَوَارَت بِالحِجَابِ**] [2] يعني الشمس إذا استترت بالمغيب ، والحاجب: المانع عن السلطان[3]، والحاجب : البَوَّاب ، صفة غالبة ، وجمعه حجبه وحُجَّابٌ ، وخُطَّتُهُ، الحِجابَة[4].

إما في الاصطلاح فالحاجب هو من((يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم)) [5]

والحاجب في أصل الوضع عبارة عمَّن يبلغ الإخبار من الرعية إلى الإمام ، ويأخذ لهم الإذن منه، وهي وظيفة قديمة ، وسمي الحاجب بذلك ((لأنه يحجب الخليفة أو الملك عمن يدخل إليه بغير إذن ... ثم تصرف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه ... إما في زماننا فهو عبارة عمن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب، ليبلغ ضروريات الرعية إليه ، ويركب أمامه بعصا في يده، ويتصدى لفصل المظالم بين

---

(١) الفراهيدي، العين ج٣، مادة (حجب) ، ص ٨٦، ابن منظور ، لسان العرب ، مج٢، مادة حجب، ص٧٧٧.

(٢) سورة ص: أية /٣٢ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القران ،ص ١٥٣.

(٤) ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ) ، المحكم والمحيط الأعظم ، تح د. عبد الحميد هنداوي ، ط١،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ،ج٣، ص٩٢، ابن منظور المصدر السابق ،مج٢، مادة (حجب)، ص ٧٧٧ ،الفيروز أبادي،القاموس المحيط ،ج١، ص ١٥٤.

(٥) ا ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٧٩ ، ابن الأزرق ، ، بدائع السلك ، ج١، ص ٢٦٨.

المتداعيين خصوصا فيما لاتسوغ الدعوى فيه من الأمور الديوانيّة ونحوها))[1]. يشير ابن الأزرق الى أنهم ذكروا لصاحب هذه المرتبة شروطًا ضرورية، وكمالية:، وهي على النحو الآتي:

١- المعرفة بأوقات محجوبة، وانبساطه، ومنازل الناس عنده.

٢- صحة الرأي ليضع الأمور في مواضعها.

٣- الرأفة والنزاهة

٤- حسن الإبانة عن توصيل ما يلقى إليه .

٥- بسط الوجه مع هيبة الجانب .

٦- سلامة الجوارح من الآفات القادحة .

٧- الصدق فيما ينقل للسلطان أو يبلغه عنه[2].

كان الخلفاء الراشدون لا يمنعون احدًا من الدخول عليهم، بل كانوا يلتقون الناس على اختلافهم بلا حجاب. فلما انتقلت الخلافة إلى بني أمية، اتخذوا الحُجَّاب بعد حادثة الخوارج مع الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص، خوفا على أنفسهم من شر الناس، وتلافيا لازدحامهم على أبوابهم، وشغلهم عن النظر في مهام الدولة والأمر نفسه في دولة بني العباس[3]. إما في الدولة الأموية في الأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء، فمن أدنى منهم، فلا شك أنها كانت عندهم ارفع المراتب وأبعدها غاية، وعند ظهور الاستبداد على الدولة، اختص المستبد باسم الحاجب، أي في أعقاب خلافة بني أمية أطلق على من قام مقام الخليفة في الأمر(حاجب)، لشرفها وعلو منزلتها كما حدث

---

(١) القلقشندى ،صبح الأعشى ،ج٥،ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) بدائع السلك، ج١، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٣) ابن خلدون المقدمة ، ص١٧٧،حسن،حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام ص٤٤٢.

بالنسبة الى المنصور إبن أبي عامر، وابنيه من بعده[١]. وكان صاحب الدولة يعين جماعة للإعانة والمشاورة ،ويخصهم بالمجالسة ،ويختار منهم شخصًا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب[٢]. نستنتج من ذلك ارتفاع رتبة الحاجب عن سائر الرتب، فكانت لها مكانة رفيعة أخذت ترتفع شيئا فشيئا حتى على المستوى العسكري والسياسي وذلك لما امتلكته من قوة ونفوذ مهدت له السيطرة على شؤون البلاد بدلا عن الخليفة .

ترتبط وظيفة النظر في المظالم بمؤسسة الحجابة المؤسسة السياسية للسلطة الأندلسية من اجل أعلامها بالأوضاع الحقوقية والشرعية وحماية حقوق الإنسان ،وردع الظالم ومحاسبته ومعاقبته واخذ الحق منه ، ومن خلال دراستنا وجدنا أن أوجه الشبه بين الاثنين قد يتداخل تداخلًا إداريًا، بسبب ما قام به الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر من دور سياسي وإبنيه من بعده ،عندما تولوا منصب الحجابة (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) فضلا عن توليه منصب صاحب المظالم في الوقت نفسه[٣].

وكذلك ممن جمع بين الحجابة والنظر في المظالم عيسى بن شهيد (ت٢٤٣هـ) فقد تولى الحجابة معظم أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ثم ولاه خطة الخيل ثم استوزره ثم ولاه النظر في المظالم وكانت له في التدابير أراء صائبة[٤].

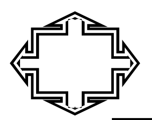
---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص١٧٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٠؛ ابن الأزرق، بدائع السلك،ج١،ص٢٦٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٢١٦.

(٣) إبن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩؛ المقري، المصدر نفسه، ج١، ص٤١٠-٤١٣؛ وللتفصيل أكثر عن دوره في رفع المظالم، ينظر : الفصل الثالث.

(٤) إبن القوطيَّة، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٨٤؛ إبن حيان القرطبي، المقتبس، ج١، ٢٥-٢٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩١.



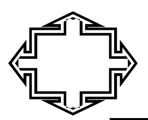
الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة الممتعة في دراسة ((النظر في المظالم في الاندلس من عصر الامارة حتى نهاية عصر الحجابة العامرية (١٣٨-٣٩٩هـ / ٧٥٥- ١٠٠٨م))) اسفرت الدراسة عن نتائج اوجزها بما يأتي:

١- تعد وظيفة النظر في المظالم من الوظائف الدينية والدنيوية، وهدفها تحقيق العدل والامن والسلام ورد الحقوق إلى اصحابها.

٢- كانت تولية المظالم من اختصاص الامير او الخليفة، او من يخوله سلطة النظر في المظالم من الوزراء وقضاة الجماعة، فقد عَدَّ ولاة الامر إن النظر في المظالم من اختصاصهم، فقد كانوا يتولونها بانفسهم، نظراً لاهمية هذه الخطة وما لها من دلالة على السلطة، وافردوا لها اياماً معلومة في الاسبوع ، كما هو الحال عند الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) فقد كان يقعد للعامة يوم (الجمعة) من دون ان يجعل بينه وبين المظلوم ستراً، وكان يباشر احوال المتظلمين بنفسه ويبحث مظالمهم، وكذلك كان الامير الحكم بن هشام الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) قبله له يومان في الاسبوع يجلس فيهما الى الرعية لبحث مظالمهم وكان يحضر مجلسه القضاة والفقهاء، في حين أنَّ الآخرين لم تزودنا المصادر فيما اذا كانت لهم ايامٌ محددةٌ ينظرون في المظالم ويجلسون الى الرعية، غير ان المقطوع به أنَّ بعضهم لا يتقيد في زمان محدد او مكان معلوم لقضاء حوائج المتظلمين كما هو الحال عند الامير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٩م) والحاجب المنصور بن ابي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠٢م).

٣- اكدت النصوص والحوادث التي وصلت الينا ان النظر في المظالم كان يباشرها الحاكم بنفسه او قاضي الجماعة او الحاجب او صاحب الشرطة الكبرى، ففي اغلب الاحيان القى الحاكم نفوذ المظالم وامضاؤها بيد القضاة ويدل على ذلك إنَّ حكمهم كان نافذاً على الامراء والخلفاء.



٤- ان الامير الحكم بن هشام الربضيَّ هو اول من استحدث خطة المظالم في الاندلس ، فهو قد أفرد يومين في الاسبوع للمظالم، وكان له عيون يطالعونه باحوال الناس ، وكذلك كان الحاجب المنصور له عيون بالليل والنهار، ولا يقع امر من الامور الا وله علم به ، وكان له كاتب يدور في الضواحي ليترصد ما يجري فيها.

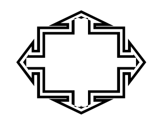
٥- اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) بمراقبة الجهاز الإداري والعسكري للدولة بغية الحصول على المعلومات السرية التي تمكنه من محاسبة المقصرين من العمال والقادة إذا أساءوا استخدام نفوذهم ضد الرعية .

٦- إنَّ لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة، بل احياناً تتوجه المظلمة ضد القاضي فيقوم متولي المظالم بإنصاف المشتكي كما حدث في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل عندما اشتكى رجل على القاضي فانصفه منه.

٧- يختلف عمل الناظر في المظالم عن عمل المحتسب، فالمحتسب يقوم بتفقد الاسواق ومراقبة المكاييل والموازين، والتاكد من دقتها، ومراقبة اساليب الغش والتدليس الذي يمارسه اصحاب الحرف والصنائع المختلفة، في حين ان الناظر في المظالم لا تدخل هذه الامور من ضمن اختصاصاته، وانما واجبه هو استقبال الشكاوى والظلامات من قبل الرعية والفصل فيها، وازالة الظلم أياً كان نوعه.

٨- إنَّ خطة النظر في المظالم لها اتصال مباشر مع وظيفة الشرطة الجهة المنفذة والساندة لتطبيق الاحكام وتنفيذ الاوامر التي تصدرها خطة المظالم لتعزيز وجودها واحقاق الحق.

٩- يوجد إختلاف بين صاحب النظر في المظالم وصاحب الشرطة فمثلاً كان الناظر في المظالم اوسع سلطة واكثر صلاحية من صاحب الشرطة، إذ أنَّ الناظر في المظالم هو صاحب السلطة العليا في المجتمع متمثلا بالخليفة نفسه او من اوكل اليه النظر في المظالم، والشرطة هي وظيفة مرؤسة لصاحب السيف في الدولة، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان.



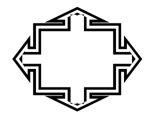
ثَبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا : المصادر

(أ)

- ابن الأبَّار، ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي(ت٦٥٨هـ) :
  الحِلَّة السيراء، تح د. حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ابن الأثير، ابو الحسن، علي بن ابي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)
  ١. اللباب في تهذيب الانفاس، اعتنت بنشره مكتبة القدس، القاهرة، (١٣٥٦—١٣٦٩هـ).
  ٢. الكامل في التاريخ، دار الفكر ، بيروت، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- ابن الأخوة ، ضياء الدين، احمد بن محمد(ت٧٢٩هـ) :
  معالم القربة في احكام الحسبة، علق عليه ووضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- الإدريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله(ت٥٦٠هـ):
  نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، عالم الكتاب، بيروت،١٩٨٩م.
- ابن آدم، يحيى بن سليمان القرشي(ت٢٠٣هـ) :
  الخراج ، تح احمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٤٧هـ.
- ابن الازرق، ابو عبد الله محمد بن علي الأندلسي(ت٨٩٦هـ):
  بدائع السلك في طبائع الملك، تح محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس،(د.ت).
- ابن أعثَم الكوفي، احمد بن محمد(ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م):
  الفتوح، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند ،(١٣٨٨-١٣٩٥هـ).



- الالوسي، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (١٢٧٠هـ):

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، القاهرة، (**د.ت**).

- الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)(ت٤٠هـ):

نهج البلاغة من مختارات الشريف الرضي، شرح الاستاذ الشيخ محمد عبده، مكتبة مصر ودار المرتضى، العراق، ٢٠٠٦م.

(ب)

- ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ):

الصلة في تاريخ علماء الاندلس، تح صلاح الدين الهواري،ط١، المكتبة العصرية ،بيروت، ٢٠٠٣م.

- البكري، ابو عبد الله عبد العزيز(ت٤٨٧هـ):

جغرافية الاندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تح، عبد الرحمن علي الحجي ،دار الارشاد، بيروت، ١٩٦٨م.

- البيهقي، ابراهيم بن محمد(توفي في الربع الاول من القرن الرابع الهجري):

المحاسن والمساوئ، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (**١٣٨٠هـ /١٩٦٠م**).

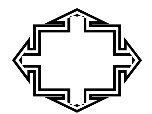
(ت)

- ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف، (ت ٨٧٤هـ):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م.

- ابن تيمية، تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحكم بن السلام (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م):

الحسبة في الإسلام، مطبعة القاهرة، القاهرة، ١٤١٨هـ.



(ج)

– الجاحظ، ابو عثمان عمر بن بحر محبوب (ت ٢٥٥هـ):

التاج في اخلاق الملوك، تح احمد زكي، ط١، القاهرة، (**١٣٣٢هـ/ ١٩٤١م**).

– الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ):

التعريفات، ط١،دار احياء التراث العربي، بيروت، (**١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م**).

– الجرسيفي، عمر بن عثمان بن عباس(لا يعرف تاريخ وفاته):

رسالة في الحسبة، تح ليفي بروفنسال، ثلاث رسائل اندلسية في الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م.

– الجهشياري، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ):

الوزراء والكتاب، ط١، مطبعة الباب الحلبي، القاهرة، (**١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م**).

– ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

تاريخ عمر بن الخطاب، مطبعة توفيق الادبية، القاهرة، (**د.ت**).

– الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٩هـ):

الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

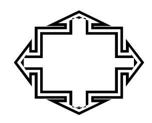
(ح)

– ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ):

١. **جمهرة انساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر**، (**١٣٨٢هـ/١٩٦٢م**).

٢. **رسائل، تح احسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار صبح، بيروت، ٢٠٠٧م**.

– الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح (ت٤٨٨هـ):



جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، تح صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.

- الحميري، عبد المنعم الصنهاجي (ت٧١٠هـ):

الروض المعطار في خبر الاقطار، تح ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م.

- ابن حيان القرطبي ابو مروان حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ):

١. **المقتبس من انباء اهل الاندلس، تح محمود علي مكيطبعة دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٧٣م.**
٢. **المقتبس من اخبار الاندلس، تح شالميتا، كورينطي م.صبح، نشر المعهد العربي الاسلامي العربي الثقافي، مدريد، ١٩٧٩م.**
٣. **المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، اعتنى بنشره، الاب ملشورم، انطوانيه، باريس، ١٩٣٧م.**
٤. **المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٥م.**

(خ)

- ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت٥٢٩هـ):

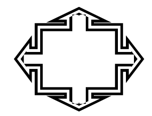
مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تح هدى شوكت بهنام، دار الغصون، بيروت، (د.ت).

- الخشني، ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت٣٦١هـ):

قضاة قرطبة، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- ابن الخطيب الغرناطي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد التلمساني (ت٧٧٦هـ):

١. **الاحاطة في اخبار غرناطة، تح يوسف علي الطويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ).**



٢. أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح حسن سيد كسروي، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ):

١. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٢. المقدمة، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

(د)

- ابو داود، سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ):

سنن ابي داوود، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة، (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).

- ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن حسن (ت٦٣٣هـ):

المطرب في أشعار اهل المغرب، تح ابراهيم الابياري وآخر، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.

- ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس العذري (ت٤٧٨هـ):

ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح، عبد العزيز الاهواني، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

(ر)

- الراغب الاصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل (٥٠٢هـ):

مفردات الفاظ القرآن، تح مصطفى بن الفدوي، مكتبة فياض، (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

(ز)

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ):

تاج العروس من جواهر القاموس، تح إبراهيم الترزي، ط١، الكويت، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

- الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ):

الأخبار الموفقيات، تح سامي مكي العاني، بغداد، (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

- الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٥٤٥هـ):

الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي، مج٢١، دمشق، ١٩٦٨م.

(س)

- سبط بن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر(ت٦٥٤هـ):

مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تح جنان عبد جليل محمد الهموندي، بغداد، ١٩٩٠م.

- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع(ت ٢٣٠هـ):

الطبقات الكبرى، تح محمد عبد القادر عطا، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

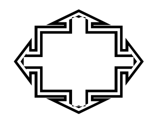
- ابن السكيت، ابو يوسف يعقوب بن اسحق(٢٤٤هـ):

اصلاح المنطق، تح احمد محمد شاكر وآخر، ط٤، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

- ابن سلام شاكر، ابو عبيد القاسم (٢٢٤هـ):

الأموال، اعتنى به محمد احمد الغافقي، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

- ابن السماك العاملي الغرناطي، ابو القاسم محمد بن ابي العلاء (توفي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري):



الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة، تح محمود علي مكي ، ط١، القاهرة ٢٠٠٤م.

- السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن الاندلسي(٥٨١هـ):

الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، (**١٣٩٠هـ /١٩٧٠م**).

- ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ):

المحكم والمحيط الاعظم، تح د.عبد الحميد هنداوي، ط١،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢١هـ.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ):

١. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت**، (**١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م**).

٢. **الوسائل الى مسامرة الاوائل، تح سعد أطلس، بغداد**، (**١٣٦٩هـ /١٩٥٠م**).

(ش)

- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر(ت ٥٨٩هـ):

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة، (**١٣٦٥هـ /١٩٤٦م**).

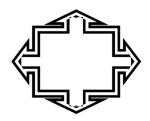
(ص)

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت٧٦٤هـ):

الوافي بالوفيات، تح احمد الارناؤوط واخر، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت،(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

(ض)

- الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ):



بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٨م.

(ط)

- الطباطبائي، محمد بن حسين:

الميزان في تفسير القرآن، ط١، منشورات مؤسسة المجتبى للمطبوعات، ايران، ١٤٢٥هـ.

- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ):

تاريخ الرسل والملوك، تح محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، (١٩٦٠-١٩٦٩م) .

- الطرطوشي، ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت٥٢٠هـ):

سراج الملوك، بولاق، مصر، ١٢٨٩هـ.

- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ):

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، ط٢، دار صادر، بيروت، (**د.ت**).

(ع)

- ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (٤٦٣هـ):

الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح علي محمد البجاوي، القاهرة، (**د.ت**).

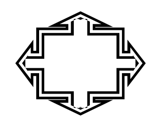
- ابن عبد الحكم، ابو محمد عبد الله (ت٢١٤هـ):

سيرة عمر بن عبد العزيز، علق عليه احمد عبيد، ط٥، بيروت، (**١٣٨٧هـ/١٩٦٧م**).

- ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ):

العقد الفريد، تح محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٤٠م.

- ابن عبد الرؤوف، احمد بن عبد الله (توفي في النصف الاول من القرن السادس الهجري):



رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تح ليفي بروفنسال، منشورات ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، ١٩٥٥م.

- عبد الملك السلمي، ابن حبيب الاندلسي (ت ٢٣٨هـ):

التاريخ، اعتنى به عبد الغني مستو، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

- عبد الواحد المراكشي، ابن علي (ت٦٤٧هـ):

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- ابن عبدون، محمد بن احمد (توفي في النصف الاول من القرن السادس الهجري):

رسالة في القضاء والحسبة ، منشور ضمن (ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب)، تح ليفي بروفنسال، القاهرة ، ١٩٥٥م.

- ابن عذارى المراكشي، ابو عبد الله محمد(كان حيا الى عام ٧١٢هـ):

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح ج. س. كولان ، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

- العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ):

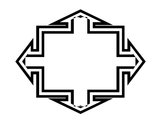
الاوائل، تح محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (١٣٨٥هـ /١٩٦٦م).

- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ):

شذرات الذهب في اخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠هـ.

(غ)

- ابن غالب، محمد بن ايوب الاندلسي(ت في القرن السادس الهجري):



فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تح لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.

(ف)

- الفراء، ابو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ):

معاني القرآن، تح محمد علي النجار وآخر، ط٣، عالم الكتاب بيروت، ١٩٨٣م.

- الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت ١٧٥هـ):

العين، تح مهدي المخزومي واخر، دار الرشيد، العراق،١٩٨٢م.

- ابن فرحون، برهان الدين بن ابراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ):

الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ط١، مطبعة عباس عبد السلام بن شقرون، النحامين، مصر، ١٣٥١هـ.

- ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي(ت٤٠٣هـ):

تاريخ علماء الأندلس، تح صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠٠٦م.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ):

القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت ١٩٥٢م .

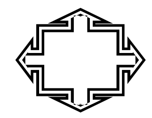
(ق)

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ):

عيون الاخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بيروت، (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م).

- القلقشندي، ابو العباس احمد (ت٨٢٠هـ):

١. صبح الاعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب السلطانية، القاهرة، (١٣٣٤هـ/١٩١٦م).



٢. **مآثر الانافة في معالم الخلافة، تح عبد الستار احمد فراج، الكويت، ١٩٦٤م.**

- ابن القوطية ابو بكر محمد بن عمر القرطبي(ت٣٦٧هـ):

تاريخ افتتاح الاندلس، تح عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر (٧٥١هـ):

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تح محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٩٥٢م.

(ك)

- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ):

البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن الكردبوس، ابو مروان عبد الملك التوزي (من علماء القرن السادس الهجري):

الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تح عبد القادر بوباية ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٩م.

(م)

- المالقي، عبد الله بن يوسف بن رضوان (ت٧٨٤هـ):

الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح سليمان معتوق الرفاعي، ط١، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ):

الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تح سمير مصطفى رباب، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- المسعودي، علي عبد الحسين بن علي (ت٢٣٦هـ):

مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط٤، دار الاندلس، بيروت، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ):

صحيح مسلم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

- المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٣٨٠هـ):

البدء والتاريخ، تح كلمان هوار، شالون،(١٨٩٩-١٩١٦م)

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ):

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية)، مطبعة الساحل الجنوبي، لبنان، ١٩٥٩م.

- المقري، ابو العباس احمد بن محمد بن احمد (ت١٠٤١هـ):

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس، ط٥، دار صادر، بيروت، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

- ابن المقفع، ابو محمد عبد الله روزبة، (ت١٤٢هـ):

آثار ابن المقفع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١،١٩٦٦م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ):

لسان العرب، تح عبد الله علي كبير واخران، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- مؤلف مجهول:

اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها (رحمهم الله) والحروب الواقعة بها بينهم، تح إبراهيم الإبياري، دار الكتب الاسلامية، طبع بمطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م.

- مؤلف مجهول:

تاريخ الاندلس، تح عبد القادر بوباية ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

- مؤلف مجهول:

مدونة عبد الرحمن الناصر، تح ليفي برفنسال، ترجمه للإسبانية: إميليو غارثيا غومث، مدريد، غرناطة، ١٩٥٠م.

(ن)

- النباهي، ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي (ت نهاية القرن الثامن الهجري):

المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (٧٣٢هـ):

نهاية الإرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية، (د.ت).

(هـ)

- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ):

السيرة النبوية، علق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

(ي)

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ):

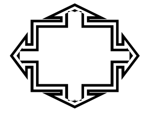
معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م.

- يحيى بن عمر، (ت٢٨٩هـ):

احكام السوق، تح محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، العدد١-٢، مج٤، (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

- ابو يعلى، محمد بن الحسن الفراء (ت٤٥٨هـ):

الاحكام السلطانية، صححه محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.



ثانياً: المراجع

(أ)

– احمد، عبد العزيز:

قضية السجن والحرية في الشعر الاندلسي، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، (د.ت).

(ب)

– بهجت، منجد مصطفى:

الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، (د.ت).

(ت)

– التستري، محمد تقي:

قضاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ط٤، النجف، (١٣٣٨هـ/١٩٦٣م).

(ج)

– جاسم، عطا سلمان:

ديوان المظالم، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، بابل، ٢٠١٠م.

(ح)

– الحجي، عبد الرحمن علي:

التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

– حسن، حسن ابراهيم:

تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، ط٧، القاهرة، ١٩٦٤م.

- حسن، رضا محمد ذياب:

ولاية المظالم ومجالسها من فجر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطبعة الأمانة، مصر، (١٤٠٥ /١٩٨٤م).

(د)

- الدوري، ابراهيم ياس خضير:

عبد الرحمن الداخل في الاندلس سياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد، ١٩٨٢م.

(ر)

- أرسلان، شكيب:

الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

(ز)

- زيدان، عبد الكريم:

نظام القضاء في الشريعة الاسلامية، بغداد، ١٩٨٤م.

(س)

- سالم، السيد عبد العزيز:

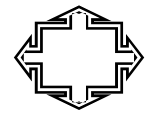
تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس، بيروت، ١٩٦٢م.

- سالم، السيد عبد العزيز:

قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، بيروت، ١٩٧١م.

- السامرائي، عبد الحميد حسين احمد:

المؤسسات الإدارية في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق٢٠٠٩م.



(ش)

- شاكر مصطفى:

المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، الكويت، ١٩٨٨م.

- شبانة، محمد كمال:

الاندلس دراسة تاريخية حضارية، ط١، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(ص)

- الصوفي، خالد:

تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، (د.م)، (د.ت).

(ط)

- طرخان، ابراهيم علي:

دولة القوط الغربيين، القاهرة، ١٩٥٨م.

- طه، عبد الواحد ذنون:

الاستقرار العربي في شمال افريقيا والاندلس، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

- السامرائي، خليل وآخرون:

تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ط٢، بغداد، ٢٠٠٥م.

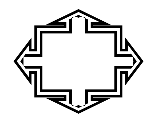
(ع)

- العبادي، احمد مختار:

١. تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٩٨٢م.

٢. في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

- العبادي، عبد الحميد:



المجمل في تاريخ الاندلس، جمع مادته ونسقها أحمد ابراهيم الشريف، ط١، ١٩٥٨م.

- عباس، رضا هادي:

الاندلس رحلة في التاريخ والحضارة، ط١، بغداد، ٢٠٠٨م.

- عبد الباقي، محمد فؤاد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، ط٢، ذوي القربى، مطبعة ظهور، ايران، ١٣٨٤هـ.

- عبد البديع، لطفي :

الاسلام في اسبانيا، ط١، القاهرة، ١٩٥٨م.

- عبد الكريم فريحات واخرون:

مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ط١، الناشر دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩م.

- عبد المنعم، حمدي:

ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصاته مقارناً بالنظم القضائية الحديثة، ط١، دار الشروق، بيروت-القاهرة،(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- العزي، نجلة اسماعيل:

قصر الزهراء في مدينة الزهراء، بغداد، ١٩٧٧م.

- علي ادهم:

منصور الاندلس، دار احياء الكتب العربية، (د.ت) .

- عليان، شوكت:

قضاء المظالم في الاسلام، ط١، بغداد، (١٣٧٩هـ/ ١٩٧٧م).

- العميد، طاهر مظفر:

آثار المغرب والأندلس، بغداد، ١٩٨٨م.

- عنان، محمد عبد الله:

دولة الاسلام في الاندلس (من الفتح إلى بداية عصر الناصر) مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(ف)

- فيليب حتي:

تاريخ العرب، ط٢، بيروت، ١١٥٣م.

(ك)

- كاظم، ماهر صبري:

دراسات في التاريخ الاندلسي، ط١، مؤسسة مصر- مرتضى للكتاب العراقي، دار مصر للطباعة، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

- كولان، الاندلس:

دائرة المعارف الاسلامية، دار الكتاب المصري، بيروت، ١٩٨٠م.

(م)

- ماجد، عبد المنعم:

تاريخ الحضارة، القاهرة، ١٩٦٣م.

- مصطفى، إبراهيم وآخرون:

المعجم الوسيط، ط٢، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة للطباعة والنشر، تركيا، ١٩٦٢م.

- المعاضيدي، خاشع:

تاريخ العرب في الاندلس، بغداد، ١٩٨٦م.

- مكي، محمود علي:

تاريخ الأندلس السياسي (٩٢ ـ٨٩٧هـ/ ٧١١ـ ١٤٩٢م)، بحث ضمن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، إعداد مركز دراسات الوحدة العربية، إشراف سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، ١٩٩٩م.

- المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية.

أطلس العالم، إشراف ومراجعة إبراهيم حلمي الغوري، ط٧، دار الشرق الغربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

- مؤنس، حسين:

١. فجر الاندلس، ط١، العصر الحديث، دار المناهل، بيروت، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢. معالم تاريخ المغرب والاندلس، بغداد، ١٩٨٦م.

(ن)

- الناصر، محمد حامد:

الحياة السياسية عند العرب مقارنة على ضوء الاسلام، ط٢، دار الجيل، بيروت، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

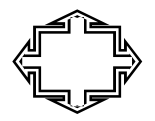
- نعنعي، عبد المجيد:

تاريخ الدولة الاموية في الاندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

(ي)

- اليوزبكي، توفيق سلطان:

دراسات في النظم العربية الاسلامية، بغداد، ١٩٨٨م.



ثالثا: الرسائل الجامعية

- حمود، سادسة حلاوي:

مدينة الزهراء في الأندلس، دراسة في خططها وبنائها وأحوالها السياسية والاجتماعية والفكرية والإدارية والعسكرية (٣٦٦ ـ ٣٩٩هـ / ٩٧٦ـ١٠٠٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٦م.

- العاني، عبد الهادي صالح نجيب:

العدالة في الحكم العربي الاسلامي بالاندلس من الفتح حتى عصر الخلافة (٩٢- ٣٩٩هـ/ ٧١١-١٠٠٩م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد (**١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م**) .

- عباس، رضا هادي:

القضاة والقضاء في الاندلس من الفتح حتى مملكة غرناطة، اطروحة دكتوراه باللغة الاسبانية غير منشورة، جامعة غرناطة، غرناطة،إسبانيا، ١٩٨٠م.

- الكبيسي، خليل إبراهيم:

دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، ١٩٨٠م.

- مهند العزاوي، احمد عبد المحسن:

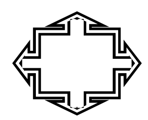
الشرطة في الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الاموية في الاندلس (**٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م**)، **رسالة ماجستير معهد التاريخ العربي والتراث العلمي و بغداد** ، (**١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م**).

- الهموندي، جنان عبد الجليل محمد:

القضاء والقضاة في المغرب الأدنى الى القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، (**١٤١٨ه/ ١٩٩٧م**).

رابعا : الدوريات والمجلات:

- خلاف ، محمد عبد الوهاب:



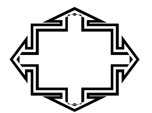
صاحب الشرطة في الاندلس ، مجلة أوراق، مجلة ثقافية يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة ، رقم ٣ ، ١٩٨٠م.

- منشد ، جواد كاظم :

المنصور بن ابي عامر و جعفر المصحفي والصراع على السلطة ، مجلة آداب البصرة ، مجلة محكمة فصلية تصدر عن عمادة كلية الآداب البصرة ، العدد٤٣، ٢٠٠٧م.

- يوسف، محمود:

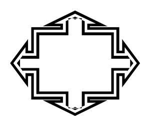
المنصور بن أبي عامر، مجلة معهد المدرسين العالي، جامعة بغداد، العدد الأول، ١٩٦٤م.



(الملحق ـ ١)

إسبانيا والبرتغال[1]

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج١، فاتحة الكتاب.



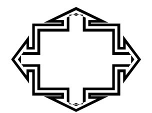
الملحق ـ٢)

نسب عبد الرحمن الداخل[1]

أمية

- حرب
  - أبو سفيان
    - ١ـ معاوية الأول
      - ٢ـ يزيد الأول
        - ٣ـ معاوية الثاني
- العاص
  - الحكم
    - ٤ـ مروان بن الحكم
      - عبد العزيز
        - ٨ـ عمر
      - ٥ـ عبد الملك
        - ١٠ـ هشام
          - معاوية
            - **عبد الرحمن (الداخل)**
        - ٩ـ يزيد الثاني
          - ١١ـ الوليد الثاني
            - ١٣ ـ إبراهيم
          - ١٢ـ يزيد الثالث
        - ٧ـ سليمان
        - ٦ـ الوليد
      - محمد
        - ١٤ ـ مروان

(١) ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٨.



(الملحق ـ ٣)

أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس[1]

١. عبد الرحمن الداخل (الأول) أول أمراء الدولة الأموية في الأندلس
(١٣٨ ـ ١٧٢هـ/ ٧٥٦ ـ ٧٨٨م)

↓

٢. هشام الأول
(١٧٢ ـ ١٨٠هـ / ٧٨٨ ـ ٧٩٦م)

↓

٣. الحكم الأول (الربضي)
(١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ ـ ٨٢٢م)

↓

٤. عبد الرحمن الثاني (الأوسط)
(٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ / ٨٢٢ ـ ٨٥٢م)

↓

٥. محمد الأول
(٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦م)

↓

٦. المنذر
(٢٧٣ ـ ٢٧٥هـ / ٨٨٦ ـ ٨٨٨م)

٧. عبد الله
(٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ / ٨٨٨ ـ ٩١٢م)

↓

محمد

↓

٨. عبد الرحمن الناصر (الثالث)
(٣٠٠ ـ ٣١٦هـ / ٩١٢ ـ ٩٢٩م) (الأمير عبد الرحمن الناصر)
(٣١٦ ـ ٣٥٠هـ / ٩٢٩ ـ ٩٦١م) (الخليفة عبد الرحمن الناصر)
(اول خلفاء الأمويين في الأندلس)

↓

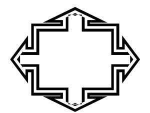
٩. الحكم المستنصر (الثاني)
(٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ / ٩٦١ ـ ٩٧٦م)

↓

١٠. هشام الثاني (المؤيد)
(٣٦٦ ـ ٣٩٩هـ / ٩٧٦ ـ ١٠٠٨م)

---

(١) ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٥٨.



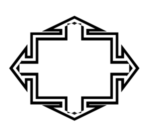
(الملحق ـ٤)

نسب المنصور بن أبي عامر [1]

عبد الملك المعافري
↓
يزيد
↓
الوليد
↓
أبو عامر
↓
عامر
↓
عبد الله
↓
محمد
↓

- عبيد الله
  - عمرو " عسقلاجة"
    - عبد الله
      - عمر
- عبد الله
  - محمد " المنصور" (٣٦٦ - ٣٩٢هـ/ ٩٧٦ ـ١٠٠٢م)
    - أحمد
    - بريهة
    - ٢- عبد الملك " المظفر" ٣٩٢ ـ ٣٩٩هـ/ ١٠٠٢ـ١٠٠٨م)
      - محمد المعتصم
    - عبد الله
      - محمد
        - عبد الملك
    - ٣- عبد الرحمن " شنجول" الناصر (٣٩٩/ ١٠٠٨ـ١٠٠٩م)
      - عبد العزيز ابو الحسن
        - عبيد الله
        - عبد الرحمن
        - محمد ابو بكر
          - عثمان ابو عمرو
          - عبد الملك
        - عبد الملك نظام الدولة
  - يحيى
    - عبد الملك أبو مروان
    - عبد الله
      - حبيبة

(١) ينظر: إبن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص٤١٨، ٤١٩.



Abstract

This study deals with ((The plan of Ombudsman in Andalus From Imarah Era till the Amiriah Janitorial era (138-399 A.H /755-1008 A.C).

This study deals with an important truth in the Andalusian history from Al-imarah era till the end of the Amiriah janitorial , it dealt with : Al-imarah era , Caliphate era , which continued more than two centurjes and ahalf (138-399 A.H).

The aim of this study is to show the reality of consideration of ombudsman in Andalus , the tools that the contract Islamic authority uses in Andalus to raise inequality and injustice in society . This study consists of four chapters with introduction and the conclusions .

The First chapter deals with the consideration of ombudsman in different eras , It consists of two sections , the First one deals with the

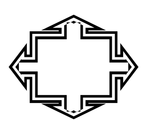
Terminology of the consideration of ombudsman " as term linguistically and terminologically " and the historical base of this item .

The consideration of Ombudsman in the Middle period of Islam and Al-Rashidi Era , and the Omawi and Abbassian eras . The second section deals with spain before the Islamic conquest (the labeling , position , history , population) , and the Islamic Arab conquest in Andalus.

The second chapter is to study the consideration of ombudsman in Al-imarah era in Andalus.

The third chapter deals with the consideration of ombudsman in Omawian Caliphate era in Andalus.

The Fourth chapter is to study the plan of the consideration of ombudsman and its relation with other plans in Andalus . This Chapter consists of four sections .



The First one is the relation between the ombudsman plan with judgement , the second is the relation between the plan of ombudsman with economy the third one is the relation of the plan of the ombudsman with police , then the last one is to show the relation between the ombudsman plan with janitorial plan .

Later, the conclusions are clearly given. followed by the resources and the biblio group by of this work.

The Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Wasut University
College of Education
Department of History

Plan to consider grievances in Andalus From Al-Imarah Era till Al-Amiriah janitorial Era
(138-399 A.H / 755-1008)

A study
Submitted by

Wrood Abdul Hussein Jawad

To
The Council of the College of Education , Wasut University in partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Islamic History

Supersized by
Asst.Prof. Sadisah Halawi Hmood , Ph.D.

2011 **1432**